التربية بقراءة النصوص

٢- دعاء الاستخارة

تقديم

أنا هيبة بنت عيد السمري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الفهرس

اللقاء الأول 4
(إذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ) 12
(فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غيرِ الفَرِيضَةِ) 32
(اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ) 37
(وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ) 38
(وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ) 40
(فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ) 42
اللقاء الثاني 50
(وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) 67
(اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ) 73
(وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَان) 87

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا...اللهمّ آمين.

نحن في لقائنا هذا ضمن سلسلة لقاءات عنوانها:

(التربية بقراءة النصوص)

وكلّما بدأنا في أسبوع كررنا على أنفسنا القاعدة التي حولها تدور هذه السلسلة، القاعدة تقول:

(إن المؤمنين مستغنون بالكتاب والسنة عن أي شيء غيرهم في كل مجال نفع وتربية وإصلاح وإعمار للنفس)

المسلمون مستغنون بالكتاب والسنة في كل باب يتصل بإعمار النفس عن غيرهم. "

يعني يفهمون حديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «ليسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ»[1].

أي ليس منّا من لم يستغنِ بالقرآن عن غيره، وستكون السنة تابعة للقرآن.

---

[1]() أخرجه البخاري (7527).

أي أن المؤمنين حقًا ما صفتهم؟ صفتهم أنهم مستغنون بالكتاب والسنة عن كل نظرية فكرية تأتيهم من الشرق والغرب.

ونحن نكرر على أنفسنا دائمًا: في مجال إعمار الأرض نأخذ من أي أحد: طيارات، سيارات وأجهزة اتصال. هذا اسمه "إعمار الأرض"، أما في مجال إعمار النفس لا نأخذ إلَّا من ربنا الذي أرشدنا إلى الحق والصواب.

والمؤمنون يعلمون أن الله خلق لهم أبدان بمثابة الأداة أو المركب الذي تركب عليه أرواحهم، وخلق لهم أرواح هي المقصودة في كل عطاء.

أي أننا نعرف جميعًا أن الله خلقنا وخلق أبداننا وجعل لهذه الأبدان عطاءات، أعطانا -في مقابل إعطائه لنا الأبدان-: الغذاء، والهواء. رغم أن أبداننا مجرد مركب تركبه أرواحنا والأرواح هي المقصودة، فهل نتصور أن الله يؤتي أبداننا ما يدلها ويرشدها ولا يعطي أرواحنا؟! لا يمكن.

يعني الذي ربّى أبداننا لابد أن يكون قد ربّى أرواحنا وتربية أرواحنا ستكون من أي باب؟

من هذا الوحي الذي نزل على الرسول ومن هذا الكلام الذي بلغنا من رسول الله.

🏵️إذًا تربية أرواحنا هي المقصد ولا يمكن أن نتصور أن تربية أرواحنا تُركت ليُشرّق بها ويغُرّب!

بل هذه تربية الأرواح أتت الإشارة إليها في كل موطن من كلام الله وفي كل موطن من كلام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

ماذا بقي علينا؟

بقي علينا أننا عندما نقرأ كلام الله وكلام رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- نقرؤه ونحن نريد أن نجعله منهجًا نعيش عليه، منهجًا نُربّي به.

فإذًا مقصدنا من هذه اللقاءات -التربية بالنصوص- أن نقرأ النصوص قراءة من يريد أن يصل من النص إلى التربية، يعني النصوص التي تأتي في الكتاب والسنّة الناس كيف يعاملونها؟

يقرؤونها، يتعبدون بقراءة القرآن ويتقربون بفهم سنة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والعمل بها.

تقرأ، تفهم؛ ثم تنُتج من هذه المعرفة، تُنتج من قراءتك للنصوص وفهمك لها قواعد تُربّي بها.

إذًا نحن ماذا نفعل بالنص من الكتاب والسنّة؟!

أولًا: نقرؤه ثمّ نفهمه فهمًا عميقًا، ثمّ نخرج منه إلى أن ننُتج منه معرفة، أي ننتج منه كيف نربي أبناءنا، ننتج منه كيف نصلح أنفسنا ننتج منه كل ما نحتاجه.

لكن أين المشكلة؟! المشكلة حاصلة في مسألتين:

المسألة الأولى: الكسل عن فهم النصوص.

فمثلا نقرأ الإخلاص والمعوذتين منذُ أن فتحنا أعيننا ولكننا لا نبحث ما معنى (الصمد)! ولا نبحث (ما هي دلالة قوله تعالى: (بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ)؟) ما معنى هذه الثلاثة؟ فهذه أول خطوة: الكسل عن الفهم، ومادام هناك كسل عن المعرفة نفسها، فمن المؤكد أن هناك كسل عن شيء أكبر منه وهو الكسل عن إنتاج معرفة من وراء المعرفة. بمعنى: مثلا نحن في هذه الأيام دونًا عن الأزمنة الماضية، الناس يتكلمون عن النظريات التربوية، يتكلمون عن كيف تربي أبناءك؟ يعني خصصوا لها علمًا. كيف خصصوا لها علمًا؟

رأوا الشرق والغرب يتكلمون عن التربية فجاؤوا جماعتنا ماذا فعلوا؟ قالوا: هناك علم اسمه "علم التربية".

وهذا صحيح يجب أن يكون هناك علم اسمه "علم التربية" وأكيد أنه موجود في ثنايا الكتاب والسنة.

لما عرفنا أن التربية لها علم، كان الواجب من أين يُستخرج هذا العلم؟ من الكتاب والسنة، ولا نستورده!!

كيف نستورده والله حكم على المؤمنين بأنهم (خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)[2] وحكم على الكفار أنهم (شَرُّ الْبَرِيَّةِ)[3]؟

فكيف تريد من نظرية شر البرية أن تُخرّج من بيتك خير البرية؟! هذا لا يقبله العقل!

ثمّ أن الله حكم للمؤمنين أنهم بصيرون وحكم على الكافرين أنهم عُميٌ. فكيف وأنت بصير تذهب تطلب الهداية من الأعمى؟! كل هذا غير مقبول!

فأين الإشكال؟ أن الناس جميعهم يتكلمون عن مسألة القراءة ويتفننون فيها وطوال الوقت يقولون: (نقرأ أكبر عدد من الكتب ونقرأ والقراءة...) ثم تتقلص القراءة وتبقى فقط في دائرة التهجّي!

أي نقرأ الكلام ونصدر الأصوات المناسبة له وهذا الكلام لا يقع في داخل النفس! وهذا الكلام لا يُنتج بعده معارفًا نصل إليها!

المشكلة أين مكمنها؟ المشكلة في الأمر الذي دائمًا نستعيذ منه ونطلب من الله أن يعيذنا منه، ما هو؟ نعوذ بالله من الكسل. الكسل (الاستسلام)!

---

[2] () البينة: 7.
[3] () البينة: 6.

فهذا مقصد لقاءاتنا، الكلام عن التربية وليس من أي مكان، بل من النصوص التي نقرؤها.

(اقرأ النصوص) أي أقرأ من الكتاب والسنة ثم اقرأها قراءة من يريد أن يُخرج منها طريقة يعرف بها كيف يربي أبناءه. وهذا ليس شيئًا مستحيلًا أبدًا، بل بالعكس هو في متناول اليد، لكنه في متناول يد مَن؟ الذي يقرأ وهو نائم على فراشه؟! لا طبعًا!

المسألة لابد أن يكون فيها جهد، وفهم عميق، وتدوير، لابد فيها من إعادة، لابد أن يكون فيها بذل.

يعني من يتصور أن العلم هو حلوى سيأكلها! لا يكون فهم ما هو العلم!

والذي يتصور أن هذا الكتاب العزيز يُعطى فهمه لمن أعطى له وقته الضيق وفضل وقته، يكون قد أخطأ، فهذا الكتاب وصفه أنه "عزيز" يعني عزيز المنال ولا يُعطى إلَّا لمن يبذل ولذا نقرأ سويًّا والناس يشرّقون ويغرّبون في تفكيراتهم، على حسب جهدهم وبذلهم وسيرهم في الطريق المستقيم.

يعني لا بد أن نسير في الطريق المستقيم ونبذل جهدًا ونحن نسير في الطريق المستقيم.

وعلى كل حال، أؤكد على أن مسألة القراءة هذه ليست موضة، ليست مجرد مسابقة، مسألة القراءة هذه مسؤولية.

تقرأ النصوص ليس معناها أن تتهجى، تقرأ النصوص يعني تنتقل من مجرد إخراج الحروف إلى أن يقع هذا المعنى في قلبك، إلى أن تصل بهذا المعنى لمعرفة تستطيعي أن تربي بها.

ونحن كنا جربنا سابقًا كيف أضع نصًّا أمام عيني، وأحلله، أي أفهمه فهمًا عامًا ثم أقول معناه: (يجب أن أفكر في كذا، وأهتم بكذا)

نحن موضوعنا اليوم: (حديث الاستخارة).

ما هي الخطة؟

الخطة أن نضع الدعاء أمام أعيننا ونبذل جهدنا من جمل الدعاء نخرج بقواعد نفهمها ونصل بها إلى التربية، ليس المقصود فقط هذا النص الذي أمامنا، بل مقصدنا من كل سلسلة اللقاءات أن نتمرن، أن نقوم بالخطوتين:

أن تقرأ وتصل إلى المعرفة، وهذه خطوة أساسية.

من المعرفة نفسها تنتج معرفة، وهي مسألة سهلة جدًا فقط نركز وستتبين لنا.

وطبعًا لابد من خلفيات سابقة، لابد من وجود قواعد لكن المقصد من كل السلسلة أن نعرف أن لدينا "كنوز" (كم ترك

الأول للآخر!) لكن الآخر ما هي مشكلته؟ مشكلته أنه "كسلان" ويستورد، هم يسهرون في الليل يفكرون ونحن في الصباح نأخذ الحصيلة. وهذا أساس المشكلة!

وسنبدأ الآن ننظر بتجربة:

(حديث الاِسْتِخَارةِ)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضى الله عنهما- قَالَ:

«كَانَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ؛ يقولُ: إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غيرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُل: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي قالَ: «وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».»[4]

وهذه الجمل في غاية الأهمية.

---

[4]() أخرجه البخاري (1162).

يقول أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يعلمهم، وهنا التعليم لهم بمعنى: أنه يقرأ عليهم هذا الحديث أو هذا الدعاء ويحفظهم إياه كما يعلمهم السورة من القرآن.

إذًا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان دوره أن يُعلم الصحابة السورة من القرآن ويعلم الصحابة الأدعية النافعة الموصلة لهم إلى صلاح دينهم ودنياهم.

وسيتبين لنا أن هذا الحديث متصل جدًا بباب من أبواب الإيمان العظيمة وسيتبين لنا من خلال النقاش إن شاء الله.

إذًا جابر -رضي الله عنه- وصف النبي بأنه: "معلّم" يعلمنا، وهكذا كل مربي ماذا يفعل؟ سيقوم بعملية التعليم.

ثم أن جابر -رضي الله عنه- بيّن الأمرين المهمين اللذان سنهتم بهما في التعليم: (كان يُعلمنا الاستخارة كما يُعلمنا السورة من القرآن) معناه أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- كان يعلمهم مسألتين مهمتين:

1- يعلمهم السورة من القرآن.

2- يعلمهم الأدعية النافعة، يعلمهم ما يوصلهم إلى الصلاح من كلامه -صلّى الله عليه وسلّم- والتي تنفعهم في صلاح دينهم ودنياهم.

إذًا عملية التعليم هذه هي مسؤولية المربي أن يلقنهم الكلام الصحيح ثم يبين لهم معنى هذا الكلام الصحيح.

يقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غيرِ الفَرِيضَةِ»

وهنا يأتي أمر مهم جدًا وهو: عمل القلب. يعني الآن كل شخص منا يعزم على أن يفعل شيئًا أو يخطر بباله أن يفعل شيئًا، (يخطر بباله) ، غير (يعزم عليه).

(إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ)

يعني وصل الأمر من درجة الخاطرة التي تمر ولا تستقر إلى درجة الهمّ الذي يلحقه عزم. وهذا الكلام يجب أن نفهمه لأن حتى الحساب عند الله مبني على فهم الفرق بين الأمرين:

القلب هذا يجول فيه أشياء كثيرة تجول فيه خواطر، تجول فيه وساوس، تمر هكذا، لكنها لا تستقر، تمرّ ولا تستقرّ. هذه حين تمرّ لا يُقال لك فيه: (اذهب واستخير!)

ما هو الشيء الذي يقال لك فيه: (استخير)؟ الشيء الذي قد عزمت أمرك عليه؛ لذلك قال: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ) وفي رواية أخرى (إذا أراد أحدكم) يعني الهمّ والإرادة.

لكن هل يوجد شيء في القلب غير الهمّ والإرادة؟ نعم، يوجد أشياء في القلب غير الهمّ والإرادة. يوجد: الخاطر والوساوس والهاجس. هذه الأمور التي إذا مرت ما استقرت يعني تمر في خاطرك أن تفعل كذا لكن ما فكرت فيها، ما

أعطيتها بُعد، ما بدأت تبحث عن أدواتها. هذه لا تستخير فيها بالعكس هذه تفعل بها إحدى أمرين:

- إما تصرفها من خاطرك.
- إما تحولها إلى همّ وعزم.

وهذه الأمور تجعلنا نناقش أمورًا في قوله: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ):

الأمر الأول: أن من وسائل الشيطان علينا أن يُنقّل أفئدتنا من جهة إلى جهة حتى تفقد قواها، يعني كل لحظه تأتيك خواطر كل لحظة، خواطر أن تغيري البيت، خواطر أن تغيري الفرش، خواطر أن تشتري سيارة، خواطر أن تفعلي كذا وكذا...! فقط يشتتك وما في شيء اسمه عزيمة، فقط تمر خواطر على رأسك.

وهذا القلب له جهد وله قوة، المفترض أن تذهب قوة القلب في أي شيء؟

- إما أن يفكر فيما يقرب إلى الله.
- إما أن يفكر وهو جاد فيما ينفعه في الدنيا.
- إما أن يبقى مع الشيطان في وساوسه وكل لحظة تأتيه خيالات وتأتيه أمور ويذهب ويعود ويغيّر! لا، هذا ليس صائبًا!

إذًا الأمر الأول الذي نتفق عليه أنه: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ) أو (إذا أراد أحدكم) هذا معناه أننا يجب أن نهتم بقلوبنا ولا نترك الوساوس ونترك الخواطر فقط تجول في قلوبنا ثم نقول: (تأتيني خواطر فأجد نفسي تشتهي أن أشتري كذا أو أن أفعل كذا) فتبقى الأمور فقط عبارة عن أماني في النفس! لا يصلح هذا!

بل اعزم على أرشد أمرك، والذي ليس لك فيه حاجة اتركه؛ لأننا ممكن يصبح عندنا حالة من الإدمان، إدمان ماذا؟! إدمان الأفكار، فقط! على فراشنا نبقى نفكر ونفكر بدون أي فائدة وكأن قلبي هذا مسرح للخواطر والخراب!

اعلم أن هذا مكان نظر الرب، الله ينظر إلى قلبك يجب تجعله مؤدبًا، إما أن يفعل ما يصلحه في دنياه، أو يفعل ما يصلحه في دينه.

أما أن يبقى فارغًا، ليس منشغلًا لا بأمر الدنيا ولا بأمر الآخرة! هذا لا يصلح!

إذًا: هذه الوساوس تُذهب قواك.

الأمر الثاني: أن العزم والإرادة ليسوا بالأمر اليسير.

نترك الآن الوساوس والخواطر والأشياء التي لا تستقر، اتركوها ودعونا نفكر بالهم والعزم. الهم والعزم من عمل القلب، إذا وصل الإنسان أن يعزم فهَمّ ووصل إلى أن يعزم،

بمعنى أنه ينتظر جمع الأدوات، ينتظر أن يتمكن من الأدوات؛ فيجب أن يعرف أنه لو همّ على فعل معصية وعزم على فعلها وحبسه عنها -عن المعصية- عدم قدرته عليها؛ فإنه يأثم. كأن يكون تجهّز ولبس وذهب ليسرق، لكن حين وصل وجد الشرطة! عزمه هذا الذي صار بقلبه إلى أن أخذ أدواته، من عزمه إلى أخذ الأدوات سيكون إثمًا عليه، إلَّا إذا تركه لله.

إذا تركه لله يأخذ حسنات لكن إذا عزم وأخذ كل الأدوات التي توصله حتى لو بفكره؛ فأخذ كل الأدوات يُكتب عليه، إلَّا إذا تركه لله تُكتب له به حسنة.

إذًا تُكتب سيئة إذا عزم على فعل السيئة وأخذ أدواتها. وتُكتب حسنة إذا رجع عن عزمه على فعل السيئة.

إذًا لا تستهن بعمل القلب، فهذا القلب خطير، مكان نظر الربّ سبحانه وتعالى، يجب أن تطهره من الوساوس والهواجس وأفعال الشيطان وتجعله مكانًا لإرادات الخير؛ ولذا الإمام أحمد يقول:

"انوِ الخير فإنك بخير ما نويت الخير"

فقلبك بخير ما نوى الخير. وهذه مسألة شائكة جدًا لأن الناس مادام أنهم لم يفعلوا الشر يقولون لأنفسهم: (لا، نحن في أمان) ما داموا لم يفعلوا السيئة بجوارحهم، بل خاطر

يدور في قلوبهم فقط، فهم في أمان وهذا ليس صحيحًا! لسببين:

السبب الأول: أننا نحاسب على الارادات المستقرة أي: تكون عازمًا على أن تفعل.

السبب الثاني: أنك صحيح لم تفعل بجوارحك ولكن يوجد شيء اسمه "فعل القلب".

لو أنا سألتك: الحسد ما هو تعريفه؟

تمني زوال النعمة عن الغير. هذا التمني فعل ماذا؟ فعل القلب، فقط فعل القلب.

لو قلنا: (الكبر ما هو)؟

«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ.»[5]

هذا الفعل فعل القلب.

معناها أن القلب لا يُهمل، لا يُهمل أبدًا، ولا نقل: (مادام أنا ما فعلت بجوارحي فانتهى الأمر!)

ما هو الشيء المعفو عنه؟ المعفو عنه: الخواطر السريعة والهواجس، لكن لو صار قلبك مكانًا للهواجس والخواطر تذهب خاطرة وتأتي خاطرة، صار القلب خرابًا! لأن هذا مكان نظر الرب، فلا يصح أن تترك نفسك للخواطر والهواجس!

---

[5]() أخرجه مسلم (91).

صحيح أن الخواطر والهواجس لا تُكتب عليك لكنها تخرّب القلب.

والذي أشد من ذلك وهو السبب الذي جعلنا نفتح مثل هذا الموضوع في الكلام عن التربية:

أن يأتيك أحد ويقول لك إنك بقلبك تستطيع أن تجذب الأقدار الحسنة! وتداول الشباب في فترة من الزمن ما يسمونه: (قانون الجذب)!

وهذا ما كان متوقعًا أبدًا أن يحصل له قبول في المجتمع الإسلامي!

وسنذكر لماذا لم يكن متوقعًا خلال النقاش، لكن لماذا حصل لقانون الجذب قبول عند الشباب؟

بسبب كلمتين:

لأنهم كتبوا على كتبهم: (الأكثر مبيعًا في العالم.)

ولأنه طُرّز باسم أجنبي.

والقراءة موضة، فماذا حصل؟ واكبوا الموضة، وقرؤوا الكتاب ويمكن كثير منهم لم يفهم ما في الكتاب!

بدليل أن كثيرًا من التعليقات التي كتبوها عن الكتاب، الذي يفهم جيدًا يفهم أنهم ما فهموا شيئًا من الكتاب! كلام عكس الذي يقولونه في الكتاب!

لكن أين المشكلة؟! المشكلة أننا نلبس أي لباس مستورد! يعني العزة في كونه مستوردًا! وتأتينا الفكرة ونقبلها.

طبعا لوازم هذا القانون -قانون الجذب- : هدم ركن الايمان بالقضاء والقدر، يسقط تمامًا، ما هو موجود! الذي يؤمن بقانون الجذب يساوي أن ركن الايمان بالقضاء والقدر غير موجود.

بدون دخول في الهرطقة، بدون الدخول في التفاصيل وسيأتينا الكلام؛ لأن مجمل القانون واضح معناه وفي داخله كلام مبهرج وجميل لا علاقة لنا به، حقيقته في النهاية: أن الايمان بالقضاء والقدر غير موجود إنما أنت تستطيع بالتفكير الإيجابي أن تأتي بكل شيء تريده! وعندما تفكر سلبيًا يأتيك الشر! وتظلَّ جالسًا في التفكير!!

المشكلة أننا أول ما نقول للناس: (توكلوا على الله) -ونحن لم نكمل الكلام بعد- يقولون: (خذ بالأسباب!) فيهاجموك! (يعني أنت تجلس مكانك وتأمرنا أن لا نقوم ولا نذهب؟!)

سبحان الله! عندما نقول لك: (توكل على الله) لا ترضى! وعندما نقول لك: (قانون الجذب) تقبل به!

وأضرب لكم هذا المثال لأنه حساس: يقولون لك: (كلي كما تريدين، ولن تصابي بالسمنة إلَّا إذا فكرتِ أنك ستصبحين سمينة!)

إذًا الحمد لله ارتحنا وحُلّت كل مشاكلنا!

والمشكلة أن هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام، هم أنفسهم لو تكلمنا معهم عن التوكل على الله، لا تتصورين كم يثورون! يقولون: (نحن لا نترك العمل) مع إن قانون الجذب يقول ذلك في نهايته! لكن من لم يفهم هذه الحقيقة -نرجع لنفس المشكلة- هو من يقرأ ولا يفهم ما يقولون وعن ماذا يتحدثون! يقرأ بالذي في نفسه وتفكيره ويخرج يقول: (قانون الجذب يؤدي إلى التفاؤل!) أي تفاؤل!!

هذا قانون الجذب يقول لك: (أنت تستطيع أن تفعل ما تريد ويصلك ما تريد!)

وهذا ليس موضوعنا ولكن نقول إن هذا القانون أحد مثيرات كلامنا عن مسألة الاستخارة. لماذا؟ لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ).

معناه: أن قلبك يعمل وليس يجذب! بل يعمل، يعمل بمعنى: (يهمّ بالأمر) بمعنى: (يهتمّ به).

فهناك شيء يهمّك وشيء لا يهمّك. الذي لا يهمّك ومجرد خواطر اتركه لا تناقشه، اهتمّ بالذي يهمّك.

وعلى ذلك ما المطلوب منّا؟

أن لا نترك عقولنا لما لا يهمنا وتنتبه عقولنا للذي يهمنا.

واتفقنا أيضًا: على أن قلوبنا لها عمل وهو الهمّ والعزم، وهذا العمل هو نفسه ابتلاءنا.

نخرج الآن للأمر الثالث في قوله: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ).

نحن ابتلاؤنا أننا خُلقنا كما وصف النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الإنسان: (حارث همام).

خلق الإنسان ما صفته؟ حارث همّام. أي: دائمًا يهتمّ، دائمًا يسعى، هذه طبيعته وفي اليوم الذي يأتي ويقول: (أنا لن أسعى ولن أهتم) هذا يكون خرج عن طبيعته الإنسانية.

وكل الناس هذه صفتهم، أنهم: (حارثون، همّامون).

ونريد أن نقول إن هنا يأتي ابتلاؤنا، وهي مسألة:

(الإيمان بالقضاء والقدر)

في مقابل أننا همّامون حارثون.

سنشرح الان عقيدتنا باختصار في القضاء والقدر، وهذه العقيدة في القضاء والقدر يجب أن تصل للصغير بكل يسر وسهولة، وهي تامة اليسر الحمد لله، وما فيها إشكالات إلَّا حين تحصل أفكار شيطانية! لكن في الأصل المسألة يسيرة، وهي التي سنناقشها مع الصغير.

لكن دعونا أول شيء نفهمها ثم نعرف من كل الكلام الذي نقوله ماذا سنقول لصغيرنا؟

الآن عندما نأتي للقضاء والقدر، هذا الركن العظيم سنتفق على مفهومه الأساسي وهو:

أن الله -سبحانه وتعالى- قد خلق الخلق في الدنيا لابتلائهم.

هذه النقطة الأساسية، خُلقنا هنا لأي شيء؟ للابتلاء. قال تعالى:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)[6]

إذًا الأساس أننا خُلقنا للابتلاء. الابتلاء بكلمة أخرى ما معناه؟ الاختبار. وأول ما أقول: (اختبار) تسهل المسألة:

الناس في الدنيا عندما يختبرون يجب أن يكون معهم منهج، يختبرون في المنهج.

وصفة أسئلة الاختبار أنها غائبة.

يأخذون منهجًا ويدرسونه وتُكتب لهم أسئلة وهذه الأسئلة تكون غائبة.

الله -عزّ وجلّ- خلق الخلق ليبتليهم، كلّما قرأت في قصة آدم ستجدين هذا التقرير: أن الله لما أهبطنا إلى الأرض، أخبرنا أنه سيرسل لنا رسلًا، سيدلّنا على المنهج.

(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى)[7] يعني ينجح في الاختبار.

---

[6] () الملك: 1-2.

[7] () طه: 124.

إذًا الدنيا اختبار وما تأتي به الرسل عبارة عن " منهج الاختبار ".

ما المطلوب منك مع المنهج؟ تدرسه، تفهمه، تتعلمه كله.

أين نجد القضاء والقدر؟

القضاء والقدر، هو أسئلة الاختبار، يعني أسئلة الاختبار من صفتها أنها غائبة والقضاء والقدر ما صفته؟ غائب.

فيأتيك القضاء، ماذا ستُجيب؟ هذا الذي قُسِم لك، ماذا ستقول لله؟

يعني في القرآن تسمع عن الرضا بما قسم الله، وينزل عليك من الأقدار ما تأتي قسمتك فيه شيئًا لا يلائمك. ماذا ستقول لمن قَسم لك؟ بهذه الطريقة، أنت تمر بمواقف هنا تكون غنيًا (اختبارًا لك) هنا تكون فقيرًا (اختبارًا لك) هنا تكون طويلًا، هنا تكون قصيرًا، هنا تكون أبيضًا هنا تكون أسودًا..كلها مجرد أقدار قد كُتبت وفُرغ منها وأنت المطلوب منك أن تنجح في كل موقف على حسبه.

وهذا الاختبار يدور وينتهي في كلمتين: إما الصبر وإما الشكر. كما سنتكلم في الحديث.

إذًا معناها أن الأقدار هي الاختبارات وهي التي يجب علينا أن نتعامل معها كما ينبغي، يعني أنت في النهاية لن تأخذي إلَّا ما قُسم. أين الاختبار؟

كيف ستتعاملين حتى تصلي إلى ما قُسم وكيف ستتعاملين مع ما قُسم.

فالاختبار: هو الأقدار، هذا الذي قد قُسم وانتهى.

أين اختبارك؟ اختبارك كيف ستصلين لما قُسم، وحين تصلين كيف تتعاملين مع الذي قُسم.

نضرب أمثلة:

نحن سنفترض أنني أريد أن أشتري بيتًا. هذه الإرادة التي همّ بها قلبي، سنطبق الآن، هذه الإرادة التي همّ بها قلبي وأنا داخلة على هذه الإرادة، يعني هممت على الفعل، سيكون أول شيء أمام عينيا أن هذا البيت ليس له إلَّا إحدى حالتين ما لهم ثالثة:

إما قد كُتب.

وإما لم يُكتب لا توجد حالة ثالثة له.

فهل أعرف إن كان كُتب أو لم يُكتب؟ لا، الاختبار غيبي، غائب، القدر هذا غائب وهنا الاختبار، فأنا لا أدري إن كان كُتب أم لم يُكتب، لكن أعلم أن الله خلقني بفطرة حارث همّام أهتم وأريد أن أذهب لأشتري البيت.

فأين الاختبار؟ الله ينظر إلى قلبي كيف سأسلك حتى أصل للبيت، كيف سأسلك حتى أذهب أشتري البيت. لدينا أحد طريقين:

إما العبد يسير في الطريق الذي أمره الله به بالتفاصيل.

وإما يسير في الطريق الذي حرّمه ربه عليه بالتفاصيل.

وبذلك هو هُدي النجدين ومن أجل ذلك عندما تسمعين في أوائل سورة الإنسان؛ تعلمين كيف أن الله -عزّ وجلّ- خلق هذا الإنسان (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ثم يخرج أحد اثنين (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[8]

يعني سيسير في أحد طريقين:

إما الطريق الذي يرضاه الله.

وإما الطريق الذي لا يرضاه الله.

والآن سنفترض الاحتمال الأول: أن البيت كُتب لي أنا سأسير من أي طريق؟

إما أسير في طريق الحق وأصل وأجده قد كُتب لي، أو أسير في طريق الباطل وأصل وأجده قد كُتب لي.

ما الذي يُكتب عليك في النجاح والرسوب؟!

من أي طريق ذهبت، أي طريق اخترت، في التفاصيل ماذا فعلت، كيف كان قلبك أثناء الوصول إلى هذا، هل استخرت، هل وقع في قلبك مناجاة لله، هل طلبت بركته، هل سرت في طريق الحلال؟...

أو أنك صمّمت على شرائه وقلت: (سأشتري البيت) ودخلت في الربا وفعلت وفعلت!

---

[8] () الإنسان: 2-3.

فأنت في أي الطريقين سرت؟ هذا هو الذي سيُكتب عليك، لكن الوصول وأنك تصل فتجده، لم يتأثر بالطريق أبدًا. هو أصلًا كُتب لكن النجاح والرسوب: أنت اخترت أي طريق؟ وإلا فهذا قد قسم من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

فهذا فيما قُسم لك، يعني مفترض أنه قُسم لك.

الآن نفترض الاحتمال الثاني: أن البيت ما كُتب لك في السماء. مشيت ووصلت له ثم وجدته ما كُتب، ما كُتب وأنت مشيت في الخط المستقيم الصحيح؛ إذا أنت ناجح حتى لو وصلت وما وجدته؛ لأنه من الدنيا والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ»[9]

لكن هي كلها أوراق اختبارات وسوف تنتهي والدنيا كلها بنفسها، الأرض بنفسها هذه التي نعيشها كما قال رسول الله: «تَكُونُ الأرض يَومَ القِيامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً، يَكْفَؤُها الجَبَّارُ بيَدِهِ، كما يَكْفَأُ أحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الجَنَّةِ»[10]

أي أن أول طعام أهل الجنة: هذه الأرض! دليل على أنها لا تساوي شيئًا فالدنيا لا تساوي شيئًا وستذهب، لكن كلها أوراق اختبارات.

---

[9] () رواه الترمذي (2320)، صححه الألباني.

[10] () أخرجه البخاري (6520).

إذًا الآن أنت وصلت وما وجدت أن البيت كُتب لك، وأنت تسير في الطريق المستقيم؛ تكون نجحت.

مشيت في الطريق الخاطئ ووصلت وما وجدت أن البيت كُتب لك؛ تكون رسبت.

فالمهم ليس أن يكون البيت موجودًا، بل من أيّ طريق سرت.

ولذلك حتى تختصروا المسألة فقط احفظوا الحديث -وأكيد نحن نحفظه- احفظوا الحديث حتى تذكروا أنفسكم به، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ خَيْرًا»[11]

(إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ): هذا القدر.

(فَشَكَرَ): أي سار في الطريق المستقيم.

(فَكَانَ خَيْرًا): إذا هذا الثواب.

(وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ): هذا القدر.

(فَصَبَرَ): هذا فعله.

(كَانَ خَيْرًا) هذا كان خيرًا له.

[11]() أخرجه مسلم (2999).

فهذه باختصار عقيدتنا في القضاء والقدر، يعني لا تجذبها ولا تبعّدها ولا تطردها ولا الأفكار السلبية والأفكار الإيجابية، كله خرافات!

والعجيب أن الناس وصلوا للقمر كما يقولون- ولا زالوا يخرّفون على رؤوسنا!!

فالمقصد أن هذه الأقدار قد كتبها الله من قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى:

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأرض وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[12]

(لِّكَيْلَا تَأْسَوْا): لأنه أصلًا ما كُتب.

(وَلَا تَفْرَحُوا): لأن أصلًا كُتب.

والأسى يكون على أن تسير في الطريق غير المستقيم.

والفرح يكون لتوفيق الله أن سرت في الطريق المستقيم، هذا هو الأسى والفرح.

أما الحصول فقد كتب وانتهى؛ ولذلك من فهم الاختبار جيدًا يعرف أن ليست قضيته الحصول، إنما لما وقعت في قلبه الإرادة، من هنا بدأ الاختبار، لما وقعت في قلبه الحاجة، من هنا بدأ الاختبار.

---

[12] () الحديد: 22-23.

فأول خطوة في هذا الاختبار: أن يبدأ في استخارة الله ويبدأ يُظهر ذلّه وانكساره لله.

إذًا معناها أن الايمان بالقضاء والقدر متصل جدًا بموضوع الاستخارة، ونحن إذا فهمنا تفاصيله نعرف كيف سيكون اتصاله؛ ولذلك نحن نناقش هذا الموضوع مع الصغير، نناقشه من سن التاسعة إلى سن الخامسة عشر تقريبًا أو من العاشرة إلى الخامسة عشر على حسب نضجه العقلي.

لكن من هنا مهم أن نبدأ نتكلم عن القضاء والقدر، وأن كل شيء مكتوب كتبه الله ولا تظنوا أبدًا أن عقيدة القضاء والقدر تقول لكم: (اجلسوا مكانكم)! لسببين:

السبب الأول: أننا خُلقنا حارثون همّامون لا نقتنع عندما يقول لنا أحد: (اجلسوا).

السبب الثاني: أن اختبارنا هنا تام الوضوح، فالشريعة لا تقول لك (اجلس!) الشريعة تقول لك: (سر بالطريق الذي يُرضي الله) يجب أن تسير؛ لأنك أصلًا لا تُرضي الله إلَّا عندما تسير بالطريق الذي يُرضي الله. ولا يُرضي الله أن تجلس مكانك! الذي يُرضي الله أن تسير في الطريق الذي يُرضي الله.

لذلك المؤمن الذي ستربونه وتقولون له: (إن ما كُتب قد كُتب، ونحن اختبارانا أننا كيف نسير حتى نصل) هو لن يزاحم أحدًا ولن يقاتل أحدًا! ولن يقول عن أحد: (نزع مني لقمتي!)

لا تجدين عنده هذا الذي نهى عنه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لما قال: «وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا»[13]

لا تجدينه -كما يقولون- "يصعد على أكتاف الآخرين"؛ لأنه يعرف أن المكانة التي قد كُتبت له عند الله قد كُتبت وانتهى. والمطلوب منه أن يسير بالطريق الصحيح.

بناء على ذلك ماذا تكون بداية الطريق الصحيح، أول ما يهمه الأمر ويهتمّ ماذا يفعل؟

يستخير، واستخارته هنا على الرأي الراجح:

يمكن أن تكون حال التردد.

ويمكن أن تكون فقط حال الهمّ.

نحن متى نستخير؟ ممكن أن يكون حين نتردد بين أمرين يعني عندي اختيارين وأستخير بينهما، وهذا المشهور من قول العلماء.

لكن الذي يظهر أيضًا من لفظ الحديث: أن أيّ همّ ستهمّ به يعني تريد أن تفعله لا بأس بأن تستخير.

---

[13]() أخرجه مسلم (2563).

يعني ليس شرطًا أن يكون عندك بيتين وتكون محتارًا بينهم؛ لكن أنت تريد أن تشتري بيتًا، تريد أن تشتري غرضًا، فقط تريد أن تشتري، الذي يظهر من نص الحديث أن أول ما تهمّ بأمر مهم ماذا تفعل؟ تستخير.

والقول المشهور عند العلماء: "تستخير إذا وقعت لك حيرة" يعني الآن لا بأس نستخير إذا وقعت حيرة ونستخير إذا همنا بأمر وأردنا الدخول فيه.

طبعا من المضحكات المبكيات أن أحدًا إذا نوى على معصية -هؤلاء من الصغار يفعلون ذلك- يقول لك: (أنا استخرت!) طبعًا المحرمات خارج النقاش.

والاستخارة تدور بين أمرين:

بين المباحات: يعني أدخل فيها أو ما أدخل.

وبين الواجبات: مثلًا أنت تريد أن تحج سواء الفريضة أو النفل وتريد أن تستخير، تستخير في ماذا؟!

أستخير أذهب مع من؟ فهناك تفاصيل تستخير فيها.

تريد أن تحفظ القرآن، تستخير هل أحفظ في هذه المدرسة أو هذه المدرسة؟

في الأساس الطاعات نفسها لا نستخير فيها؛ لكن الطريقة التي سأطيع بها الله، يعني هل أذهب هذه الجمعة أم الجمعة القادمة، أذهب مع هؤلاء أم مع هؤلاء؟ كأنها الأشياء

المحيطة بالطاعة وليس نفس الطاعة! الطاعة ما فيها استخارة، كما أن المحرمات ما فيها استخارة.

الصغير سيفهم أنه متعلق بالله، يسير في هذا الطريق ومعه الله، والمفترض أنه من ضمن الكلام الذي نقوله له دائمًا: أنك تمشي في الطريق والدنيا هذه كلها طريق وأنت تمشي دائمًا قل: (اللهم اهدني وسددني) كما علّم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عليًّا -رضي الله عنه- علّمه قال له: «قُلْ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[14].

نحن في المرة الماضية وضعنا القاعدة وهذا الحديث كأنّه مركب عليها.

المرة الماضية شرحنا حديث الحسن -رضي الله عنه- والحديث المشهور حديث دعاء القنوت وفيه « اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ»[15].

وكنا نقول إن واحدة من الأمور المهمة جدًا التي يجب أن نربي عليها الصغير: أن يشعر أن الهداية حاجة، أنه محتاج للهداية يجب أن يعرف أن في كل موقف أمامه طرق متعددة، وممكن أن يتوه بسبب هذه الطرق التي يدخلها! فيجب أن يشعر أنه كما يخاف أن يتوه في طريقه من المدرسة إلى البيت. وكما يرتعد أن يتوه من أمه في أي

---

[14]() أخرجه مسلم (2725).

[15]() أخرجه ابن حبان في صحيحه (722) وصححه الألباني.

مكان. كذلك يجب أن يخاف في الحياة كلها أن لا يسلك الطريق المستقيم، يجب أن يطلب الهداية وهذا الأمر مهم إطلاقًا ومهم اليوم خاصة. مهم اليوم؛ لأنكم ترون الناس يتخطّفون من حولنا، يعني يكون في عائلة مستقيمة ثم فجأة تأتيه أفكار إلحادية، أو فجأة يخطفه الإدمان على المخدرات أو فجأة يخطفه الإدمان على الجنس!

ما النجاة؟ طلب الهداية: (اللهم اهدني وسددني) هذا من جهة، ومن جهة أخرى كثيرًا ما نرى اليوم حالات لشباب داخلين في حالات نفسية لا يريدون الاتصال بالمجتمع ويشعرون أنهم لا يستطيعون أن يتعاملوا معه، بسبب مواقف حصلت لهم! ما عمر أحدهم؟! عمره ستة وعشرون أو سبعة وعشرون عامًا، وهذا لا شيء لكن لماذا؟! لأنه مرّ بموقف مع هذا وهذا واصطدم معهم فأصبح في حالة من الاعراض عن المجتمع.

كل هذا يُرجعنا فنقول: المفترض تعليمه منذ نعومة أظفاره، يعني من تسع سنين وعشر وما فوق: أن الهداية شيء مهم، أنك تسير في طريق يجب أن تطلب الهداية والحياة كلها عبارة عن طرق:

فيوجد طريق يوصلك إلى قاع محيط!

ويوجد طريق يوصلك إلى وادٍ سحيق!

ويوجد طريق يوصلك إلى طريق النجاة.

كيف أعرفه؟! (اللهمّ اهدني وسددني).

الهداية مطلب يجب أن يعرف الصغير أن الهداية مطلب، ومن كثرة تأكيد هذا المعنى يترتب عليه أن يستخير يقول لربنا: (أنا وصفي كذا ووصفي كذا وأنت وصفك كذا وكذا.)

فأنا أُخرج نفسي من قوتي إلى قوتك ومن علمي إلى علمك ومن اختياري إلى اختيارك.

فكل هذا يدل على أنه عبد وبذلك يتحقق المقصود بالاختبار. أن أنا عبد ضعيف بين يديّ ملك عظيم (العبودية) هذا الشرف.

أما المقصد الآن: أن هذا الصغير حين يأتي ويقول لك: (هل أفعل كذا أو كذا) أو يريد أن يفعل شيئًا؛ أنت ترشدينه أننا يجب أن نستخير ربنا، أن نطلب من ربنا أن يرشدنا إلى الطريق المستقيم.

هل نرجع مرة أخرى ونقول: (إن الله اختار والأقدار مكتوبة)؟

نرجع مرة أخرى ونقول: (الأقدار مكتوبة لكن الطريقة التي نصل إليها هي الاختبار الذي نختبره.)

الله يختبرنا هذا الاختبار ونحن نسير على الطريق المستقيم في معاملتنا لله ربّ العالمين.

سيُحاسبنا الله عمّا فعلنا، ولن يحاسبنا على الأقدار التي وقعت علينا، سيحاسبنا على أفعالنا نحن. أنت ماذا تفعل فيما قُدّر عليك.

يعني أنت تعيش في أوساط المسلمين، أنت بعيد عن المسلمين أنت وعائلتك كذا، أنت لو أنك كذا، أنت مستواك المعيشي كذا، أنت فقير، أنت غني، أنت لونك كذا...

لن يحاسبك على هذا؛ بل سيحاسبك ماذا فعلت عندما أصبحت كذا؟ لن تُحاسب على أنك من هذا النوع، لا بل تحاسب على ما فعلت، والذي يفعل -كما اتفقنا في الحديث- ما يُرضي الله؛ يصل إلى ما يُحب، يصبح أمره كله له خير.

إذًا هذا كل الكلام عن قوله: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمْرِ).

وعرفنا كيف نُربي أولادنا وكيف أننا عندما نهمّ يجب أن نرشدهم إلى طلب الهداية.

(فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غيرِ الفَرِيضَةِ)

الحديث واضح أن يركع ركعتين ولا تكون فريضة؛ بمعنى أنه يُنشئ طاعة لله، ينشئ طاعة لله بالركعتين التي يركعها لكن هنا يوجد خلاف عند أهل العلم، الفريضة واضحة أنها خرجت من الحديث، لكن ماذا عن النوافل والسنن الرواتب؟ هل المقصود أن يركع ركعتين حتى من غير السنن الرواتب؟ أم يمكن في السنن الرواتب؟

الجواب: أن الأصل من غير السنن الرواتب. يعني السنة الراتبة سنة راتبة، والأصل أن تكون الاستخارة زائدة عن السنة الراتبة وبعض أهل العلم قال: "من غير فريضة مطلقًا فلا بأس أن يستخير في السنة الراتبة"؛ لكن يجب أن يدخل بنيّة أنه سيستخير مع نية السنة الراتبة، أنه سيصلي السنة الراتبة، مثلًا يصلي سنة الفجر ومع سنة الفجر سيستخير.

لكن الأصل أنك تُنشئ طاعة جديدة، لماذا؟

لأننا فهمنا الموضوع أن أصلًا الذي قُسم قُسم وقضيتي أن أمشي في الطرق الصحيح أعبد الله، أتقرب إليه، أخرج من حولي وقوتي إلى حوله وقوته.

أُنشئ طاعات وبذلك ستظهر لي قاعدة عريضة جدًا أظل أكررها على طفلي طوال الحياة:

(الله يُنشئ في قلوب الناس الحاجات لينشؤوا هم طاعات)

هذه قاعدة عريضة مهمة، ومعناها: أنك طوال الوقت تحتاج؛ لكي تعبد وتطيع طوال الوقت. لا تنشأ لك الحاجات حتى تهرب من ربنا!

ولا تُضيّق عليك الدنيا فتذهب وتختار غير ربنا!

ولا يكون عليك دين فتطرق أبواب الناس وتتذلل لهم! لا، بل اطلبه وهو سيُسخّر لك الناس.

اطلبه وهو سيرشدك إلى مَن تذهب، اطلبه وهو يجعلك عزيزًا حتى في قضاء دينك، عزيزًا في قضاء أمرك.

وهذه القاعدة مهمة جدًا وهي غالبًا ما تغيب عنا؛ نتصور أن الدنيا عذاب لنا وهي ليست عذاب!

الدنيا كلها حاجات، كلها اختبارات محدودة، كلها حاجات حتى تُنشئ أنت العبادات والطاعات.

يعني مثلًا انظري للذي يُصاب بالأرق -النوم حاجة- عندما تُصاب بالأرق؛ لتستغيث بالله، لتعرف نعمة النوم، حتى تحمد الله أنك نمت، حين تفتح عينك وتستيقظ من النوم تقول: (الحمد لله أني نمت) وحتى تستغيث بربنا لو ما نمت. فتفعل وتفعل إلى أن تصل إلى حاجتك.

إذًا نركع ركعتين من غير فريضة وهذا دليل على أننا نتقرب إلى الله بالطاعات فلا تبخلي على نفسك بركعتين يكون سببها الاستخارة ويكون فيها زيادة ذلّ وانكسار لرب العالمين. وإن كان الأمر طارئًا فلا بأس نجمعها مع السنة الراتبة.

هناك مسألة في الهامش أيضًا نناقشها حتى نفهمها ويفهمها الصغير: أننا لا نصلي في أوقات النهي حتى الاستخارة؛ إلَّا إذا كان الأمر طارئًا وليس النهي أيضا الذي يكون في الوقت الضيق؛ يعني إذا المغرب مثلا يؤذن السادسة والنصف أو

السادسة والثلث أو السادسة والربع فهذا وقت ضيق وقت الغروب بالضبط.

لكن المقصد يكون بعد صلاة العصر حتى وقت النهي المضيّق نترك المضيّق مهما ضاق علينا الأمر؛ لأن بعد ربع ساعة الأمر إن شاء الله يكون فيه فرج.

أيضًا يبقى شيء مهم نقوله في الركعتين ونحن نصلي:

أين موطن الدعاء؟

يجب أن يتعلم الطفل متى يقول الدعاء.

العلماء على قولين:

"قبل السلام" وهذا قول قوي جدًا أن ندعو قبل السلام وإذا دعونا بدعاء الاستخارة لا نحتاج أن نرفع أيدينا.

لان هذا الموطن موطن دعاء أصلًا وهو من المواطن التي يُقبل فيها الدعاء.

وهناك قول آخر وأيضًا له قوة: وهو أن ندعو "بعد السلام".

وهذه الأمور ضروري أن نفهمها ونحن نعُلّمه حتى لا نُخطئ في تقدير المسألة.

يأتيني الآن مُجمل ما يجب أن يصله من دعاء الاستخارة:

نحن فهمنا من هذه الجمل أن الايمان بالقضاء والقدر هو لُبّ قضيتي التي أبحث فيها.

ولابد أن يفهم أن الله قضى الأقدار وأن اختبارنا أن نتعبد الله -عزّ وجلّ- أول ما نهتمّ لأمر؛ لأن الغيب غيبٌ عنا، أقدارنا غيبٌ عنا.

بقي أن نسير لهذه الأقدار كما يُرضي الله -عزّ وجلّ- ومما يرضي الله: أن نتذلل له ونُظهر له حاجتنا وفقرنا.

إذًا سنتفق على أن دعاء الاستخارة يدل على ضعف العبد، يعني الكلام عكس الموجة التي اصطدم بها المسلمون في الفترة الأخيرة!

أهل الإسلام في الفترة الأخيرة اصطدموا ببذل الجهد أن نظهر أقوياء، أن نظهر أننا نقدر على كل شيء، نظهر أننا فينا مارد قوي!

كل هذه الهرطقة التي سمعتموها، وأن الناس قادرون على أن يفعلوا ما يشاؤون إلى آخر الكلام الذي نسمعه!

دعاء الاستخارة ماذا يقول؟ يقول إننا أذلاء، ضعفاء، فقراء.

هذا شيء مهم جدًا؛ لكننا لسنا أذلاء للناس، ولا ضعفاء لهم ولا فقراء إليهم!

إنما هذا الفقر والضعف والذلة باب الشرف لنا؛ لأنكِ تعترفين أنكِ تجهلين وتقفين بين يديّ مَن يعلم الغيب -سبحانه وتعالى-، يعلم السرّ والنجوى.

فأنتِ تخرجين من ضعفك إلى قوة الله، تخرجين من جهلك إلى علم الله.

فهذا هو مكان القوة، مكان القوة أن نكون في حالٍ أذلاء فيها لله.

وهنا نحتاج إلى إشارة سريعة إلى:

شرف العبودية

العبودية بين يديّ الله شرف ليس مثل ما يظن الناس أن هذه العبودية مجرد تكليف؛ شرف أنك حين تقف بين يدي العزيز يعزك، وحين تقف بين يديّ الملك العظيم يعطيك، يغنيك، يرفعك ولا أحد يتعرض لك فتبقى في حماه.

هو يدبرك ويرعاك، كل هذا يعتبر شرف، خرجت من ضعفك إلى قوته شرف.

فالمقصد أن الدعاء كله يوصل لهذا الصغير أنه أنا وأنت ضعفاء، وليس الموجة هذه الطارئة على المسلمين أننا فينا قوة خارقة ونحن نستطيع! بل نحن ضعفاء، فقراء، عاجزون والله هو الملك العظيم. فهذا الضعف والذل يجب أن يظهر ومنه هذا الموقف الذي نحن فيه.

هذا على وجه العموم، نأتي الآن على وجه الخصوص نقول له:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ)

أنت ستقول في الدعاء (اللهم) يعني تنادي الله.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ) يعني تخرج من نفسك ومن علمك إلى علم الله وتقول له: (اختر لي)، الذي يقول لربنا: (اختر لي) ماذا يعتقد في رب العالمين؟! هذا الذي نريد أن نربيه في الصغير، يعني هو يقول: (أستخيرك بعلمك) وهو لا يتخيل ما وراء هذه الكلمة؛ لكن أنت الكبيرة يجب أن تكوني فاهمة وتوصّلين هذا المعنى المهم:

الله علام الغيوب.

الله يعلم كل شيء السر والنجوى، ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون.

معنى ذلك أنه يجب أن يتغذى عندهم اسم (العليم) يجب أن يعرفوا ما معنى أن الله يعلم كل شيء؟ وأنه يعلم السر وأخفى، كيف ما من نجوى ثلاثة إلَّا هو رابعهم، يعلم ما يحيط بكل الأمور.

فهذه التفاصيل في مسألة العلم، الصغير تطعميه إياها رويدًا رويدًا لكن ما يحتاج الإطعام الإجمالي فقط.

يعني لو بدأنا بتسع سنوات فمن قبل تسع سنوات يجب أن يعرف أن ربنا عليم، والتفاصيل تبدأ مع تسع سنوات، وهذه التفاصيل تزيد في كل مرة مما تقرئينه في القرآن، يعني كل مرة في القرآن تقرئين اسم (العليم) أو ما يدل على علم الله

لابد أن يكون كأنها الخطوة الأولى التي تبني عليها الثانية والثالثة.

بمعنى تبنين هذا المعنى التفصيلي لاسم الله (العليم). ثم أقول:

(وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ)

يعني سأبني العلم التفصيلي بقدرة الله.

وليُعلَم أنه إن لم يمتلئ هذا الطفل الذي نربيه بمعرفة أن الله هو الذي له صفة الكمال في العلم والقدرة؛ فسيبحث عن غير الله تكون له الصفة!

والسبب: أن فطرته تقول له: (لابد أن هناك أحد له تمام العلم بكل شيء ولابد أن يكون هناك أحد يقدر على كل شيء.)

فإذا لم تقولي له أن هذه الصفات لله، جعلها للشخصية الكرتونية وهو صغير وعندما يكبر قليلا يجعلها للشخصية التي يلعب بها في أجهزة الاتصال ثم يكبر ويجعلها لأبطال الأفلام الذين يراهم!

إذًا العلم والقدرة، وطبعًا الأسوأ من هذا أن يبحث عن العلم في الأبراج وأن يبحث عن غدٍ وماذا سيكون فيه من التنجيم!

فإذا لم يعرف أن العلم علم الله وأن العلم المطلق لله والقدرة المطلقة لله؛ لابد أن ينحرف لأن فطرته تحتاج أن يركن إلى

من له مطلق العلم وله مطلق القدرة؛ لأن هذه حاجة فطرية وهي من المعاني الأولية التي تدخل في اسم (الصمد).

يعني أنت تقولين: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ)[16] وهو يقولها ونكررها وبذلك النفس تطمئن، ماذا تقولين لنفسك؟

تقولين لنفسك: (ما عندي إلَّا واحد هذا الواحد أصمد إليه؛ لأنه صمد لأنه السيد الذي قد كمُل في سؤدده، كمُل في علمه كمُل في قدرته كمُل في حكمته "كامل") فإذا لم تقولي له أن الصمد الذي يصمد إليه هو الله، وأن كامل القدرة هو الله وأن كامل العلم هو الله؛ بحث عن غير الله ليركن إليه.

هذه حاجة والذي يدلّك على أنها حاجة أنه دائمًا يريد أن يعرف ماذا سيحصل له، يريد أن يعرف غدًا ماذا سيحصل له، يُثار في نفسه أنه ماذا سيكون؟! هل سيحصل له أم لن يحصل؟! هل سيجد أم لن يجد؟!...

دائما يهمه ماذا سيحصل بعد ذلك.

الذي يؤكد أنها فطرة: أنه دائم الخوف من المستقبل، وأنه كلما كبر نحن نتصور أنه يزداد أمنًا، لكن هو سيسكن عنده خوف من أمور ويصبح عنده خوف من أمور أخرى.

---

[16] () الإخلاص: 1-2.

يعني وهو صغير كل خوفه من الظلام بعدما يكبر تزداد مخاوفه، إذا وصل الخامسة عشرة يصبح خائف من المستقبل ولا يجد وظيفة، يخاف أن لا يجد لقمة لعيشه.

كل هذه المخاوف كان حلها أن يعرف مَن هو الصمد الذي يلجأ إليه.

إذًا معنى ذلك ونحن نُعلّمه أن يستخير بعلم الله -يعني يطلب من الله أن يختار له- يجب أن نعلمه أن الله له مطلق هذه الصفة، صفة العلم وأن الله له مطلق صفة القدرة.

وهاتان الصفتان خاصة هو يحتاجهما حاجة فطرية.

كيف يحتاجهما حاجة فطرية؟

خائف من غدٍ ولا يعرف ماذا سيحصل له ويريد أن يركن إلى ركن شديد ويطمئن بركن شديد يلجأ إليه ويطلبه ويسأله ولا يريد أن يتشتت فلا بد -وهذه فرصتنا- أن نعلمه معنى الاسمين: اسم (العليم) واسم (القدير)، وكيف أن الله له مطلق العلم وله مطلق القدرة.

نحن اتفقنا أني سأعلمه مفهومان أساسيان:

يجب أن أعلمه مطلق علم الله.

يجب أن أعلمه مطلق قدرة الله.

(وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ)

سيأتينا الآن مفهوم جديد: يجب أن أعلمه أن النعم كلها من الله.

وهنا هذه العملية لن تقف هنا، وأنا أتكلم عن الدعاء، بل هذه مسألة دائمة في الحياة: بالتفصيل أنسب النعمة إلى الله. أقول: (فضل الله، عطية الله، ستر الله، جبر الله، أطعمنا الله، سقانا الله، اهتدينا بهدى الله) بحيث أن الأفعال المناسب نسبتها إلى الله يسمعها طوال الوقت بالتفصيل.

وتتذكري دائمًا هنا قوله تعالى في الحديث القدسي:

«يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[17]

الشاهد: أننا ونحن ذاهبون للسوق وعندي بنت عمرها ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة ونحن نشتكي أن هذا العمر ليس صغيرًا ولا كبيرًا وما نجد له مقاسات إلى آخر هذا الكلام الذي يقولونه للبنات.

والصحيح أنني سأقول لها: (الكسوة هذه كلها من الله، نحن فقراء والله يكسينا) ، (يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ،

---

[17]() أخرجه مسلم (2577).

فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ) وبيسر وبسهولة وبدون مشاكل، وكل هذا الذي نراه!

يعني أنت في النهاية تقولين لها: (نحن نعيش في فضل الله، نعيش في نعمة الله، الله ذو الطول فكل النعم من الله.)

طبعًا هذا سيمنعنا من أي شيء؟!

سيمنعنا من استعراض عضلاتنا على الأبناء المساكين وأنا أشتري لك وأنا أصرف عليك وأنا أنفق وأنا أفعل...

هذه مسافات الذلّ التي نعُيّشهم إياها! ثم ليس هو فقط وحتى أبوه أيضًا تقول للأب: (أنا أطعمك وأنا أشربك وأنا أطبخ لك!) وكل هذه السياسة ممنوعة! بل (وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ).

الله الذي أعطاك قوة لتكون، يعني المرأة صاحبة الذوق الرفيع الله الذي وهبها الذوق الرفيع، المرأة صاحبة الطبخ الجيد الله الذي قد أرشدها وعلمها...

فإذا أردتِ أن تستعرضي عضلاتك عليه ثم تقولين: (الفضل من الله!) لا

هكذا سنسير في خطين متناقضين لا يصح أبدًا ولن يصل إلى أن الفضل من الله.

أنتِ تقولين له وهذا عكس الكلام! ولن يكون! يجب عليك أن تتبرئي من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته: (وَأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ).

ونحن لازلنا نؤكد نفس المعنى:

(فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ)

يعني أصف نفسي، فهنا مرحلة التجرد، يعني أنت تتجرد من صفاتك ولا تتفاخر بصفاتك.

تخيلوا هذا الشيء العجيب: أن المؤمنين الذين يستخيرون -وبلدنا الحمد لله مليئة بالمؤمنين- يقولون في دعاء الاستخارة: (فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ) ثم يذهبون إلى دورة من الدورات ويقول لهم المحاضر: (كرروا: أنا أقدر، أنا أستطيع، أنا أفعل!)

أليس أنت مَن كنت تقول في دعاء الاستخارة: (فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ)؟!

أنت شخصية واحدة إمّا تقدر أو لا تقدر!

فهذا هو الشيء العجيب! كيف تحصل هذه الهجمات علينا ونحن ليس لدينا سدّ منيع؟! وهذا سيعيدنا لأول الكلام:

أننا نقرأ ولا نفهم! ليس سؤالنا الآن: هل نذهب لإنتاج المعرفة؟ لا دعونا نعرف فقط أول مرة.

وهذا الذي يأتي بالصدمة أنه كيف كتاب مثل هذا الكتاب الذي نقول عنه: " قانون الجذب " يسجل في المملكة مبيعات عالية؟! كيف وهو يحمل الوثنية؟! كيف وهو يهدم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر؟!

الجواب: أنهم يقرؤون ولا يفهمون ولا يتصورون أن هذا الذي يقرؤونه يناقض ما يعتقدونه!

وطبعًا يخرج هذا ويكتب بقلمه ويستعرض ويخرج هذا ويكتب بقلمه ويستعرض والناس مع الموضة!

وهذا الخطر الذي أصبحنا نخاف منه؛ لذلك نقول: (يجب أن تقرأ ما يجب أن يُقرأ، لا تتوّه نفسك في القراءة) لا تصبح القراءة موضة ويكون نتيجة هذا أننا نرى أن الناس بدلًا من أن يصلوا إلى اليقين يصلون إلى الشك!

وبدلًا من أن تُبنى عقائدهم ويسيرون في الصراط المستقيم، يصلون إلى الضياع والشتات!

وأنتم تعرفون أنه لما حصر الناس مسألة القراءة في التهجئة -يتهجّون الكلمات- خرجت عقول وقلوب خربة؛ لأنها من إنتاجها الفكري من الذي بداخلها! لم تتعلم وتفهم. لا، بل الناس يقرؤون ويتهجون، يتوقعون أن القراءة هي تهجئة الحروف! يعني تخريجها من مخرجها. وهذا ليس بصحيح!

لو كانت القراءة تهجئة الحروف؛ كان ما تفسير أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يُقال له: (اقرأ)؟ كيف يُقال له: (اقرأ) وهو أميّ؟!

لكن ليست القراءة تهجئة الحروف! إنما هذه اسمها: (تهجئة).

إنما القراءة لها أشكال كثيرة في نهايتها أنك ممكن تقرأ مسموعًا بمعنى تُلقّن حقًا وتقوله، وترى حقًا وتقرؤه. يعني عينك ترى وتعرف كيف تقرأ أفعال الله.

مثلا في قصة قارون لما خرج على قومه في زينته؛ (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)

كيف قرؤوا الحدث؟ كيف قرؤوا خروج قارون والذين عنده؟ (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[18] .

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ(80)).

كيف قرؤوا الحدث؟ أن هذا ليس بشيء هذا اختبار.

ولما خُسف به وبداره الأرض، كيف قرؤوا الحدث؟ تبيّن لهم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

فمعنى ذلك أن القراءة أوسع بكثير من هذا المعنى الضيّق، القراءة تكون بسمعك وبصرك لحروف تتهجأها ثم توصِل العلم إلى قلبك.

---

[18]() القصص: 79.

إذا تهجيتها ولم توصِل لقلبك العلم، بالضبط تكون مثل أن تأتي بطفل في الصف السادس الابتدائي وتقول له: (تعال اقرأ معي كتاب "مغني اللبيب"[19]) فيقرأ -ما شاء الله- قراءة جيدة! يقرأ الحروف والجمل وكل السطور.

هل تفهم يا بني ما تقرؤه؟! لا، لم يفهم!

هذا ماذا فعل؟ تهجّى، لم يقرأ لأنه لم يفهم. فالقراءة أوسع بكثير من الحالة التي نمر بها! فقط يتساءلون: ما هي أكثر الكتب التي قرأتها؟ وكم كتاب قرأتِ؟! والناس يتسابقون على ماذا؟!

على التهجئة أما الفهم لا يمكن أن يحتمل هذا الأمر ولذلك عندما يقولون لك: (نحن أمة لا نقرأ) ويحزنوا علينا!

راجعي القراءة بصورة جيّدة، نكاد نكون الأمة الوحيدة التي تقرأ.

السبب:

أن أمة الإسلام هي التي تعرف أن تفسر كل الذي تقرؤه في الكون ويوصلها إلى اليقين.

وهي التي في العالم كله تقرأ من مصدر غير مشكوك في أي حرف فيه.

وانظروا لحال الناس كيف يقرؤون القرآن في رمضان.

---

[19]() أحد كتب الفقه الكبيرة.

لكن المشكلة: هل نقرأ ونفهم؟ أم نقرأ ونتهجى؟ هذا الذي يسبب لنا المشكلة! هنا المشكلة!

لذلك نحن نقول: (نكاد نكون) لأننا نسير في الطريق الصحيح لكن ليس بالطريقة الصحيحة!

القراءة ليست تهجئة، القراءة ليست مسابقة، القراءة ليست ما هو أكثر شيء قرأت؟!

بل: هل قرأت حقًا؟! هل قرأت أفعال الله في كل شيء؟ هل قرأت الكون؟ هل قرأت كلام الله وفهمته؟ هل سمعك وبصرك أوصلا قلبك إلى الطريق المستقيم؟

هذه هي القضية التي نحتار فيها. أما التهجئة! فالناس كلهم يمكن أن يتهجوا.

بدليل أن المستشرقين أتوا إلى سنة النبي الكريم وفهرسوها وأتوا بالمعجم المفهرس لألفاظ السنة.

كافر! وعرف مسند الامام أحمد وصحيح البخاري وصحيح مسلم والترمذي! وما وقع في قلبه كلمة من هذه!!

إنما أخذ كل الكلام من السنة وفهرسوها لماذا؟! حتى يطعنوا فيها، فهرسوها من أجل أن يُخرِجوا مثالب فيها ولم يمكّنهم الله ولن يمكنهم الله.

الشاهد: أن القراءة ليست كما نتصور مجرد تهجئة! تقرأ بصورة صحيحة بحيث أنه لا يمكن أن تكون شخص واحد

وتقول المتناقضات! لا يمكن أن تقول في دعاء الاستخارة -وأنا لا يمكن أن أصدق أن كل الناس الذين دخلوا في الدورات لا يعرفون دعاء الاستخارة، خاصة في ثقافة مجتمعنا دعاء الاستخارة من الأشياء المشهورة- : (فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم) ثم يأتي أحد من الناس بعد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول لك: (أنت تقدر) وقل: (أقدر) . فتفعل ما يقول! كيف يكون مثل هذا؟! إلَّا لأن هذا ما قُرئ بالطريقة الصحيحة، لأن هذا ما وقع في القلب فأصبح سياجًا بحيث عندما يأتي ضده يطرده، لا يقبله لكن هذا ما وقع في القلب لذلك عندما أتى ضده أصبح عاديًا نضعه في الدرج الثاني أو في الدرج الثالث! وهذا ماله علاقة ببعضه هذا في درج وهذا في درج! وهذا يسبب التشتت! فيأتي أحد ويقول: (نحن نقرأ القرآن، لكن لم نجد الطمأنينة التي يُقال عنها؟!)

لأن هذه الطمأنينة عزيزة كالقرآن العزيز. لا تُعطى إلَّا للذي يُدخل هذا المقروء في داخل فؤاده وليس من يقرؤه بطرف لسانه، أو يقرؤه بعينه يتهجأه.

ولذا نجد أن هذه الثورة تجاه القراءة إذا وُجّهت للطريق الصحيح وللمعنى الصحيح للقراءة -يجب أن نتفق على المعنى الصحيح للقراءة- ستأتي بنتيجة.

وإذا بقيت على التهجئة ومَن أكثر من قرأ ومن أكثر من عنده كتب في البيت؟! فسنبقى في نفس المكان، ولن تُثمر هذه أبدًا معرفة ولا ثقافة ولا وصول إلى الطريق المستقيم.

ونحن نعتز بأن أول كلمة قيلت للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- : (اقرأ).

لكننا نفهم معنى أنه قيل للنبي: (اقرأ) ونفهم أنه لُقّن كلامًا فسمعه أذنه ووقع في قلبه -صلّى الله عليه وسلّم-. بدليل أن لما أخذته خديجة -رضي الله عنها- إلى ورقة بن نوفل أعاد عليه ما سمع.

إذًا هذا الذي سمعه من جبريل وقع في قلبه، وتبين له أنه مسؤول وتبين له أن شأن عظيم وراء هذه الكلمات التي سمعها.

فهذه القراءة التي نعتز بها، نسمعها أو نراها بأعيننا ونستطيع أن نفسرها وتقع في أفئدتنا؛ لأن كل الاختبار دائر حول هذه الثلاثة أمور:

- سمعك.
- بصرك.
- وفؤادك.

وعندما أوتيت سمعًا وبصرًا قيل لك: (سمعك وبصرك اقرأ به العالم وأوقع من قراءتك اليقين في قلبك.)

لكن أهل الباطل، شر البرية ما حالهم يوم القيامة؟ قال تعالى:

(وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)[20]

لا ينفع الآن أن تضع في قلبك اليقين! انتهى الأمر، كان ينفعك وأنت في الدنيا.

أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا ممن أحسن قراءة كتابه وسنة رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- ووصل بهما إلى درجة اليقين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[20]() السجدة: 12.

اللقاء الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه كما امتن علينا بالاجتماع حول كتابه وسنة رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يجعلنا من أهلها المخلصين الصادقين الذين اغتنوا بهذا الكتاب الكريم وبهذه السنة العظيمة عن غيرهما في كل شأن في الحياة حتى يكون الهادي لنا إلى طريق الله وفي الحياة هذا الكتاب وهذه السنة العظيمة. ونحن كلَّما بدأنا لقاء بهذا العنوان:

(التربية بقراءة النصوص)

نؤكد تأكيدًا مهمًا لا يخلو منه مجلسًا: أنَّ معنى قول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «ليسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ»[21].

أي ليس منّا من لم يستغنِ بالقرآن عن غيره.

فالمستغني بالقرآن عن غيره هو من يجعل القرآن والسنة نصب عينيه ويأخذ منهما **كل شيء يحتاجه**.

ونؤكد على أن **(كل شيء يحتاجه)** نقصد به: إعمار النفس والتعامل مع إعمار الأرض. يعني أي وسيلة حديثة تأتيك من الشرق والغرب، أي كلام عن الزراعة أو عن

---

[21]() أخرجه البخاري (7527).

الصناعة أو عن ما يتصل بإعمار الأرض، لا بد أن تأخذه أخذ من تأدب بالقرآن.

ونحن دائمًا نؤكد على هذا الأمر:

🏵️أنّ كل ما يتصل بإعمار النفس -تريد أن تصلح نفسك- هذا لا يكون إلَّا من الكتاب والسنة وأما إعمار الأرض فهو حق لكل مجد.

ما معنى (حق لكل مجد)؟ يعني من يجتهد في إعمار الأرض ويبحث ويعمل ويكتشف؛ حق أن يكون له إعمار الأرض.

لكن حين تتناول أنت إعمار الأرض وتخدم به نفسك لا بد أن يكون شرطه: أن تتعامل مع كل إعمار للأرض بما يناسب إعمار النفس.

إذًا هناك نوعان من الإعمار:

إعمار الأرض وليس لهذا خلقنا.

إعمار النفس ولهذا خلقنا.

لماذا لم نُخلق لإعمار الأرض؟ لأن الله -عزَّ وجلَّ-دائمًا في القرآن يكلمك عن من عمروها أكثر مما عمروها، ومع ذلك أهلكهم الله! إذًا لا يشغلك إعمار الأرض، إعمار الأرض هذه بركات تنزل من الله ونتائج يفتحها الله -عزَّ وجلَّ- على الخلق.

أما إعمار النفس فلهذا خلقنا؛ ولا تتصوروا أن الله -عزَّ وجلَّ- يبتلي الإنسان في الدنيا ليشتغل في الأرض، بل هو حارث همام، وحين يريد أن يشتغل في الأرض يقال له: (حين تشتغل في الأرض اضبط نفسك بما يناسب إعمار النفس).

إذًا الإعمار إعمارين: إعمار للنفس وإعمار للأرض وأنت خلقت لإعمار النفس وإعمار الأرض تابع لإعمار النفس. إعمار الأرض يوم يصير تحت يدك ويوم لا يصير تحت يدك، لكن أنت دائمًا أيها المسلم المؤمن لا بد أن يكون تحت يدك إعمار النفس. يعني يوم أنت تصدر إعمار النفس والأرض ويوم تصير كسلانًا فلا تصدر إعمار الأرض لكن لا بد أن تصدر إعمار النفس.

الكلام المهم الآن الذي نريد أن نناقشه:

الآن إعمار الأرض ما صار همّنا الأول والناس يخترعون في كل مكان، ستتناول مع عمروه في أرضهم -تستورده- انتبه أن تستورد إعمار الأرض مقرونًا ممزوجًا بإعمار النفس وهذه الخديعة التي حصلت على مستويات متفاوتة.

ما هي الخديعة التي حصلت؟

الناس فكروا قالوا: (هؤلاء ما وصلوا إلى هذه الدرجة من الترتيب والنظام في كل شيء إلَّا لأن كل أفكارهم صحيحة!)

فاذا كانوا يشربون الخمر وعقولهم لا زالت معهم منتجون فكأن شخص يقول: (نِعم شرب الخمر! ما دام في النهاية يخرج عقول مثل هذه، وإذا كانوا يقعون في الزنا فمثله وإذا كانوا يرابون فمثله! فلماذا تحرمون هذه الاشياء؟! ها هم يفعلون ثم في النهاية يعمرون الأرض!) هذه كانت طبعًا أكبر مصيبة على العالم الإسلامي أنه لما ذهب منه إعمار الأرض وانتقل لغيره من أهل الكفر ظن الناس أن أهل الكفر الذين معهم إعمار الأرض، كذلك هم أهل لإعمار النفس! فماذا فعلنا؟ كما كسلنا عن أن نعمر الأرض صرنا أكسل عن إعمار النفس فصرنا نستورد حتى الأفكار التي تصلح النفس! نستورد ونحن في كتابنا يقال لنا: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[22] ومع ذلك نستورد أفكارًا لتطمئن نفوسنا!

يقال لنا: (آمن بالقضاء والقدر) فنأتي بقانون مثل قانون الجذب ونتناقش فيه على أساس أنه يأتي لنا بالخيرات!

يقال لنا: (توكلوا على الله) ونقول: (لا يوجد إله إلَّا الأسباب!)

كل هذا بسبب أن الناس ظنوا أنه إذا حصل إعمار الأرض؛ إذًا لابد أن من عمروا الأرض عندهم إعمار للنفس! وهذه طبعًا مصيبة!

---

[22]() الرعد: 28.

هذا الأمر استمر لسنين طويلة ولا زال موجودًا لكن هناك أناس نجاهم الله، لكن حتى من نجوا يحتاجون أن يراجعوا جيدًا هذه النجاة؛ لأن ثقافة إعمار الأرض كثيرًا ما تتصل بثقافة إعمار النفس.

سأضرب مثالًا: أكلنا، وقت الأكل وطريقتنا في الأكل هذه السنة أتت بتفاصيلها وكيف أُمرنا بالاجتماع على الطعام وآداب الطعام...إلى آخر التفاصيل والآداب. حين تجدين أن ثقافة الأكل أتت من الشرق والغرب. وأكل هذا يعني إعمار للبدن، لكن الناس اليوم لا يستطيعون أن يأكلوا بعض الأكلات إلَّا في صحنهم الخاص، لا يستطيعون أن يجتمعوا مع بعض في الأكل. فأثرت عليهم ثقافتهم، يعني لا يمكن أن يكون لاحد ثقافة ولا تُؤثر في كل السلوك، لا بد أن تُؤثر في كل السلوك، فكأننا نبني حائط صدّ! الأكلات السريعة بسبب كثرة الكلام عنها، الناس أصبحوا لا يقولون فيها: (بسم الله) من عجلتهم! وقِس على ذلك تجد حتى بيوتنا في الأصل متأثرة بما يصلح لإعمار النفس، يعني بيوتنا في كثير من الأوضاع اليوم لها بابان، باب يدخل منه النساء وباب يدخل منه الرجال. يعني الرجال لا يدخلون إلى البيت في الداخل، ثم يتطور الناس ويتركون هذه المسافة! وهكذا فلابد أن يتأثر

إعمار الأرض بإعمار النفس. فلابد من عمليات تصفية لكل ما يأتيك حتى في إعمار الأرض، لا بد أن تنتقيه.

لاحظي اليوم بسبب السرعة أصبح الناس يستخدمون اليسار، صار استخدام اليسار شيئًا يسيرًا عند الناس، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-لما قال له الرجل: (لا أستطيع) قال له: «لا اسْتَطَعْتَ»[23] فشلّت يمينه! فالمسألة ليست يسيرة. فلا يقل أحد: (بسيطة أن يأكل باليسار)! ليست بسيطة أنت أمام أمر شرعي.

فالمقصد الآن من هذا النقاش:

🏵️ صحيح أننا نقول: (إعمار النفس لا بد أن يكون مصدره محض من الكتاب والسنة وحتى حين يأتي شيء متصل بإعمار الأرض لابد له من تصفية)

لأن ثقافات الناس تحكم إعمارهم للأشياء؛ ولذلك -مثلًا- بيوتنا فيها أسوار؛ لأن فيها حريم في الداخل، حرمته، عرضه. نتكلم عن العالم الإسلامي على وجه العموم، ثم بدأ الناس يتنازلون عن هذه الأسوار وصارت سياج بسيطة! وأصبحوا يعمرون الأرض على ثقافة غيرهم، فتستورد إعمار الأرض وتستورد معه ثقافتهم رغمًا عنك!

---

[23]() رواه مسلم (2021).

فلذلك يجب أن نبني حائط صدّ، وكان المفترض أن نكون أصحاب القرار في كل شيء.

لكننا الآن في وضع لا نتمكن من تغييره، في كونهم سبقونا في التقدم في التجارة والصناعة. وهذا ليس مسؤوليتنا، دعونا في الواقع الذي نعيشه. في الواقع الذي نعيشه علينا أن نحصن أنفسنا في كل شيء يتصل بالتربية وتصير قيمنا عالية؛ فحين يتربى الجيل على أن قيمه عالية؛ ستكون كل قراراته التي يأخذها حتى في إعمار الأرض أو في استيراد إعمار الأرض مناسبة لتفكيره، مناسبة لعقيدته -وهذا الكلام يوصلنا لشيء خطير-فلا نجد من يبيع كتاب مثل كتاب "قانون الجذب" لتزدهر تجارته، ويصبح أعلى مبيعات الكتب في المملكة! وهذا يخالف عقيدتك! كيف تفكر في هذا المال الحرام وتعتبر هذا الكتاب كأنه مبيع من المبيعات؟!

ثم تأتي المسألة التي تخصنا كأشخاص، التي هي: التجارة الإلكترونية.

ويقال لنا: (بِعْ هذه التعليقة التي تسحب الطاقة السلبية، وهذا الحجر الكريم الذي يجذب لك الأحوال الجيدة!) وبِعْ كذا وكذا وهذا يبيع ولا يفكر إلَّا في المال ودينه وعقيدته لا يحميها! ما عنده مصدر لعزته ولا يفرق بين الحلال والحرام في تجارته!

الشاهد: أنه لا يمكن أن يكون إنسانًا حقًا حمل عقيدة صحيحة بتعظيم الله وتعظيم رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- وتعظيم القرآن وكان مصدرًا حقيقيًا لتفكيره وقيمه ثم نجده لا يتأثر حتى في قراراته المتصلة بحياته العامة، حتى المتصلة بالحياة، مثل هذا كيف يبني بيته؟ يبني بيته وهو يفكر في الستر، يبني بيته وهو يعرف أن البيوت فيها عورات، يبني بيته بحيث أنه حين يفتح الباب لا تقع عين الداخل على نسائه. فغير ذلك كله بعيد عن ثقافاتنا، وأنت قِس كل شيء على ذلك.

حين يكون الحجاب لكسر عين الرجل بحيث لا ينظر في المرأة ومفاتنها. ومفاتنها هذه بعضها قد يظهر حتى لو كانت ترتدي عباءة من رأسها إلى إصبع قدمها، ماذا نريد؟ نريد أن نكون كالغرابيب السود ففي الحديث عن أم سلمة أنها قالت: (لمَّا نزلت: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ علَى رؤوسِهِنَّ الغِربانَ منَ الأَكْسِيَةِ)[24]

"كالغرابيب السود" لماذا قيل: (السود)؟ لأن الأسود يكسر العين لا يجعلها تنظر فيمن يلبس الأسود.

يأتي من يقول لك: (ليس شرطًا للحجاب أن يكون أسود) ثم تسمعين من يقول: (هذا الحجاب صممه المصمم الفرنسي)! كم هو حريص على حجابنا؟! وخذ من هذه

[24]() أخرجه أبو داوود (4101). والأكسية جَمْع كِسَاء، شَبَّهَتْ الْخُمُر فِي سَوَادهَا بِالْغُرَابِ، كما في عون المعبود.

الثقافة! إلى أن وصل الأمر إلى أنه حتى المسائل التي تتصل بلب الدين، سلّمنا عنقنا فيها لأهل ثقافات الشرق والغرب!

مثلًا -هذا موقف حقيقي- وجد شخص في اليابان من يروج لجهاز على أنه يجعلك تحلمين بما تريدين في الليل! هي مفاجأة الحقيقة، لكن يأتي مسلم ويكتب معهم عقد! ماذا كان يتصور؟! من هذا الذي سيصدقه؟! نحن نرى أنه لا يوجد من يصدقه؛ لأننا نعرف أن أرواحنا بيد الله وأننا حين ننام نسلم أرواحنا لله...كلها عقائد

ثم هو في بلد من البلدان ويقول للناس: (سأبيعه وسيشتريه الناس) وباع واشتروا الناس! هذا يعني أنه توجد مسلّمات في داخل النفس نظن أنها موجودة لكنها تذوب!

هذه المسلمات موجودة في أدراج في النفس لكنها غير ضابطة، لا تضبط النفس، بحيث لو أتى أي شيء خلاف هذه المسلمات فإنه يمكن أن يدخل، يعني يدخل الشيء ويدخل عكسه لا مانع! والأزمة هنا. أننا نتعلم ونعرف الحق ثم فجأة يظهر شيء يخالف الحق فنقبله أيضًا! كيف ذلك؟! وهذا مثلما تناقشنا أمس أن من يقول في الدعاء: (فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ) هو نفس الشخص الذي حين يقال له في دورة ما: (قل: أقدر وأقدر وأستطيع) يقول! فهذا معناه أن الاستغناء لا بد أن يبني سياج، وهذا الذي نريده ونحن نربي أبناءنا، أن عقيدتنا التي

نحملها تكوّن سياجًا مانعًا، وهذا السياج المانع يسمح للشيء من إعمار الأرض أن يدخل، لكن بصيغة قيمية يسمح بها ديننا، أي تأخذ الأشياء وتضع عليها ما يناسب قيمك، والذي لا يناسب قيمك تخرجه. نحن نتكلم عن إعمار الأرض، أما إعمار النفس ما لهم علاقة بنا أبدًا، لا يكلمونا عن النظريات التربوية ولا يكلمونا عن النظريات التعليمية ولا نأخذ منهم أي شيء يتصل بهذه النفس الطاهرة التي نحملها بين جنبينا ونريد أن نصل إلى ربنا بقلب سليم، هؤلاء لن يأتوا لنا بقلب سليم، هؤلاء عند الله شر البرية. فالنفس ليس لهم علاقة بها أبدًا.

🏵️وأنا الآن أضيف للنقاش شيء آخر:

أنه حتى إعمار الأرض لا بد أن يحصل له حالة من التصفية، ويأتي يناسب قيمي.

أضرب لكم مثالًا ماديًا لتتصوروا:

الآن الذين يصنعون السيارات في دول العالم -ونحن سوق قوي للسيارات- يصنعون سيارتهم مناسبة لهم من حيث الأرض قد تكون أرضهم باردة وقد تكون أرضهم جبلية لكن يأتون للمملكة والخليج العربي ويأخذون كل المواصفات المناسبة ويصنعون شيئًا كأنه بصورة تناسب المملكة. لماذا؟

لكي تأخذ السيارة قيمتها عند أهل المملكة، تأخذ قيمتها مثلًا في الأماكن الجبلية، في الأماكن التي كذا.

فتصوروا أن في الشيء المادي ليروج سوقهم يصنعونه بصيغة تناسب مجتمعنا.

المفترض أن نفكر في كل شيء بنفس الطريقة. أنا سأتفيد منه إذًا سآتي به بالصيغة التي تناسب مجتمعنا. هذا يكون من أكبر منتج إلى أن أصل إلى -مثلًا- قصص الأطفال. افتح قصة للأطفال مكتوبة باسم عربي وكاتبها عربي وراسمها عربي والبنت التي في داخل القصة عربية والولد عربي ثم البيت المرسوم في القصة كأنه بيت من البيوت الأجنبية! ما معنى هذا؟! هؤلاء المفترض أن يخاطبوا من ثقافتهم، لا آتيهم بنماذج أتت من هنا ومن هناك! لا بد أن يخاطبوا من واقعنا لكن من يفعل ذلك؟ غالبًا يأتي الأمر بالخطأ، لا يوجد من يتعمد أن يجعل ثقافته لا شيء! لا يوجد من يتعمد أن يقطع صلته بثقافته! لكن بسبب الضغط الدائم في الحديث بأن الغرب أحسن وأفضل منا وصلنا إلى أنه حتى صلتنا بثقافتنا -كما يعبرون- وبديننا وبأصالتنا كلها تتراجع إلى الوراء!

كل ما ذكرناه أزمة حقيقية، لكن لتتصور أين المشكلة، وحين يقرأ المتربي النصوص لا بد أن تكون أصلية في

نفسه، يعني يتعلمها، يعيشها، يفهمها، يجعلها سياجًا يمنع دخول الباطل إليه.

فلا نحتاج في يوم من الأيام أن نناقش أحد ونقول له: (قانون الجذب خطأ) أين إيمانك بالقضاء والقدر؟! بسبب أن المسألة واضحة وضوح الشمس ما عندي دليل أناقشك فيه!

وليس يصح في الأذهان شيء**إذا احتاج النهار إلى دليل

وليس يصح في العقول شيئًا إذا احتاج النهار إلى دليل، يعني إذا كنت تريد أن أستدل بدليل على أن الدنيا نهار! ماذا أفعل لك؟! أين لي بدليل؟! ماذا أفعل لأقنعك؟! كيف أبين لك أنك ضعيف، أنك عاجز؟! إن الأقدار قد كتبت، أنت ممتحن في الأقدار، لا يمكن لأحد عاقل أن يبقى في مكانه ويتمنى على الله الأمانيّ! ولذلك من الأشياء التي استفدناها من ظهور هذا الكلام أن نتكلم عن الأماني.

ونبين كيف أن الأماني فيها الكاذبة وفيها الصادقة وكيف تكلم الله في القرآن عن الأماني وعن أن اليهود والنصارى عندهم أماني والناس عندهم أماني باطلة وكاذبة وهناك أماني صادقة ونهانا أن نتمنى ما فضّل بعضنا على بعض، إلى أن تبين أنه في كتاب مثل كتاب صحيح البخاري، عقد كتابًا سماه: "كتاب الأماني" وورد فيه أماني النبي -صلَّى الله عليه

وسلَّم-وأماني الصحابة الكرام وفيه الأماني الصحيحة والأماني الباطلة.

فبذلك استفدنا من قانون الجذب أن نقول لهم: (انظروا هذا موقفنا من الأماني وليس كما تظنون)

فالمقصد أننا نريد أن نتعلم نصوص الكتاب والسنة.

هذا مقصدنا في كل السلسلة؛ نتعلم نصوص الكتاب والسنة ونفهمها جيدًا وننتج منها معرفة نربي بها أبناءنا ونجعل ما نقوله لهم سياجًا مانعًا لأن يدخل الباطل عليهم؛ ولذلك كل كلمة نقرأها في النصوص التي نقرأها سواء كانت في حديث أو من القرآن، مقصدنا بها أن نفهمها جيدًا ونجعلها وسيلة للتربية.

🏵️كنا أمس اتفقنا على مجموعة مفاهيم، كنا توقفنا عند:

(فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)

وهاتان الجملتان تؤكدان علينا: أنه مطلوب في هذه المرحلة من الحياة بل وفي كل مرحلة من الحياة أن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه. يعني وأنا أربي ابني لا بد أن أضع له الأمرين أمامه:

- من أنت؟
- من ربك؟

لا بد من تعظيم الله وبيان كماله وجلاله وجماله وفضله على خلقه -سبحانه وتعالى- **ولابد من الجهة الأخرى** من بيان ضعف الإنسان وفقره وعجزه وحاجته إلى ربه بحيث يظهر في النتيجة هذا المفهوم الجميل الذي إذا استقر في نفس العبد سكُن وصار له السكون وهو **مفهوم العزة بالعبودية.**

إحساس أن العبودية موطن من مواطن العزة بل هو الموطن الحقيقي للعزة.

- أنت فقير تعال قف بين يدي الغني.
- أنت عاجز تعال قف بين يدي القادر.
- أنت ضعيف تعال قف بين يدي القوي.

ولذا هذه الثلاث صفات خاصة الموجودة في الإنسان عولجت في آية الذاريات لما أتى بيان أن الله لا يريد منا شيء ولا يتكثر بنا من قلة ولا يحتاج عبادتنا ولا يحتاج منا عطاء، إنما العبد هو الذي في حاجة فقال سبحانه وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[25]

فماذا تفهم؟

أن الله غني هو الذي يرزقك، الله ذو القوة، الله هو المتين.

وأنت فقير، أنت ضعيف، أنت عاجز.

---

[25]() الذاريات: 56-58.

وهذه القاعدة في التربية تستمر من أن يفهم الخطاب ويرد الجواب إلى أن أفارقه بالموت أو بأي موقف فراق. طوال الوقت أقول له: (من نحن؟) و(من ربنا؟) كأنه هذا المفهوم: (فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أَعْلَمُ).

من أنا؟ ومن ربنا؟ وكم أحتاج إلى الله؟ وكم أنا فقيرة إليه؟

فهذا المعنى لا يجعل هذا الصغير يتوه، نحن مشكلتنا الضياع! أين أتجه حين أحتاج؟ هو فقير، لو فكر في الغنى، يفكر في طرق أبواب الناس!

فحين نبدأ بهذا المعنى سيمتنع عن طرق أبواب الناس، سيطرق باب الله، وهذا هو المطلوب. لا أن يقول الأب -الذي بات وأصبح جاهلًا بربه- لولده بعد أن كبر: (حين تحتاج لشيء ادعُ الله). ما الذي في داخله؟ ما الدافع للدعاء؟ الدعاء هذا يحتاج إلى معرفة مهمة:

كم لله من عظمة، كيف أن الملك ملك الله، كيف أن الله رب العالمين، كيف يدبر الأمر سبحانه وتعالى.

وفي المقابل كيف أنا ما أستطيع أن أدبر شأنًا؟

يكون قلبه فيه ما فيه من الإشكالات، وما غسلناها بالاعتقادات، ثم يقول لك: (كلما طرقت بابًا ما فتح، كلما عملت عملًا خرِب!) لا بد أن تفهم لم يخرب؟! ليعلمك الله الفقر إليه، لا تستقل بنفسك في التدبير.

المشكلة أنه قد يقضي زمنًا طويلًا من حياته ليفهم هذه المسألة، فتكون ضاعت عليه فرص كثيرة، ويقضي زمنًا طويلًا وهو تقع عليه الإشكالات ولا يعرف يفسرها، فبدلًا من أن يزداد ذلًا، يزداد غضبًا! ثم على التفسيرات الباطنة يقول: (أنا ما لي حظ!)...إلى آخر الكلمات التي تعرفونها.

هذا كله بسبب خطأ من البداية. ما هو؟ أننا ما عرفنا أن العبودية شرف وأن المطلوب منك: أن تعرف من أنت؟ ورب العالمين من هو في عظمته وجلاله؟ فبمجرد أن تحتاج تفزع إليه، بمجرد أن تحتاج تلجأ إليه، بمجرد أن تحتاج تعرف أن هذه حالتك الدائمة، لن تخرج في يوم من الأيام عن أن تكون فقيرًا، والحياة كلها أصلًا وجدت؛ لتوجد الحاجات وهذه الحاجات تدفعك إلى عبودية، حين تحتاج ماذا تفعل؟ هذا هو السؤال:

حين تحتاج إلى من ستلجأ؟

حين تحتاج من ستسأل؟

حين تحتاج فيمن ستثق؟ صغير الشأن وكبيره هذا هو أصل الاختبار.

فهذا أصل الاختبار ولن ينجح فيه إلَّا الذي سيبقى كل يوم يزيد معرفة من هو الله؟ ومن هو أنا؟ في أحيان كثيرة

-ونكون كبارًا وليسوا صغارًا- ونرى أحد له صفات شيّنة، صفات غير جيدة وأستبعد عليه الهداية!

أقول: (أين هذا وأين الهداية؟) ويكون الإنسان في مقتبل عمره ثم يكبر ويقابل هذا الإنسان الذي استبعد عليه الهداية ويجده في قلب الهداية!

ماذا يتعلم عن نفسه وعن ربه؟ أنه ليس له حكم على الخلق، وقال رسول الله: «إنَّ قلوبَ ابنِ آدَمَ مُلْقًى بَيْنَ إصبَعَيْنِ مِن أصابعِ الرَّحمنِ كقلبٍ واحدٍ يصرِفُه كيف يشاءُ»[26]

أسألكم الآن: هل ينقصنا معرفة بالحديث؟ لا ينقصنا، نحن نعرف الحديث ونفهمه جيدًا، لكن أين إنزالاته على الواقع؟ في الواقع نجد على أنفسنا نحكم على هذا أنه (لن يهتدي) وهذا (بعيد عن الصلاح) وهذا (لن يتغير)! قلوبهم بين إصبعين ن أصابع الرحمن، لا بد أن تعرف من أنت؟ ومن رب العالمين؟

فهذا كله يسبب نقص طوال الحياة إذا لم تقوَ هذه المسألة.

فإذًا

دعاء الاستخارة، صاحبه في غاية من الذّل، يعرف من هو؟ ويعرف من هو رب العالمين؟

---

[26]() أخرجه مسلم (2654).

وإذا حصل هذا سيكون طوال عمره يدعو ربنا؛ لأنه ذليل محتاج إلى ربنا، وأيضًا حين يستخير سيكون خاليًا، قد تخلى من نفسه، خرج من نفسه إلى عظمة ربه وعرف ما يجب عليه أن يفعل.

إذًا من الجملتين:

(فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)

سنعرف: أن من الأشياء المهمة جدًا أن نعلمه عن علم الله وعن قدرة الله. هذا مباشرة.

وهذه المقابلة: (فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ) ستخرج لنا قاعدة تربوية تقول:

(إن من أسس تربية الأبناء: تعريفهم بعظمة ربهم وبحقيقة أنفسهم)

لكيلا ينتفخ بالهواء وينتفخ ثم يصدق نفسه إلى أن يصطدم بأقل موقف ويقع من السماء إلى الأرض ويحبط ويعقد ويحصل له ما يحصل!

نحن كما نرى الناس ينقلبون من الضلال إلى الهداية، يؤسفنا أن نقول: إن كثير أيضًا ينقلبون من الهداية إلى الضلال! ولماذا ينقلبون من الهداية إلى الضلال؟ بسبب عدم وجود أسس، يظنون أنفسهم أنهم أتوا بأنفسهم إلى الهداية، لا يعرفون أن الله قد امتن عليهم لما كانوا صادقين، فلما دخلوا

في الكذب ولما دخلوا في الثقة أنهم يملكون الهداية؛ سلبت منهم كما يسلب من أي أحد أي شيء؛ لأن الملك هو الله.

بذلك خرجنا بالقاعدة الثالثة، نحن كنا بدأنا أن نبيّن له أهمية قلبه وأن الله ينظر إلى قلبه، فكان من أهم القواعد التي نبدأ بها دائمًا:

أن نلفت نظر هذا الصغير والكبير أيضًا إلى أن مدار حياته على قلبه، فإذا همّ بقلبه وجب عليه أول ما يحصل هذا الهم أن يفزع إلى ربه. وهنا يفزع إلى ربه بالاستخارة.

وأيضًا اتفقنا أننا نبين له أن هذه الحاجات حين تظهر في حياته، المفترض أن يقابلها بطاعات؛ لأن الله ما أنشأ الحاجات في الدنيا لتجري وراء إشباعها، بل أنشأ الحاجات في الدنيا لتدفعك إلى طاعته وعبادته.

وهذه من أهم القواعد التي تفسر الحياة، لماذا تحتاج أن تشرب أو تأكل؟ لكي يفزع قلبك إلى الله وقت حاجتك، لكي تسمي الله قبل أن تشرب وتحمده بعد أن تشرب؛ ولذلك قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- : «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا.»[27] هل رضا الله أمر هين؟! لا. أي نشأت لك حاجة الطعام والشراب لتطلبها من الله، وقد قال تعالى: «يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ

[27]() أخرجه مسلم (2734).

جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»[28]

فنشأت الحاجات لكي تحمد الله، فتكون أولًا طلبت وفزعت وناديت، وحين انتهيت حمدت وتقربت؛ فيرضى الله عنك. وهذا تفسير مريح جدًا للحاجات؛ بمجرد أن تنشأ الحاجات المطلوب أن تقابلها بطاعات.

أين مكان هذا الكلام في الحديث؟ لـمَّا همَّ بالفعل؛ قابل هذا الهمَّ بأن يركع ركعتين. (يركع ركعتين) أي أنه أنشأ طاعة، يركع ركعتين ويقول هذا الدعاء الذي امتلاء قلبه بحقائقه.

وأيضًا من المسائل المهمة التي اتفقنا عليها في الحديث:

مسألة الإيمان بالقضاء والقدر ومعرفة حقيقته وكيف أن الاختبار فيه عظيم، تكاد تكون الحياة كلها اختبار حول القضاء والقدر.

هذه ثلاثة نقاط اتفقنا عليها أمس، آخر لقاء أمس بدأنا في شرح قوله: (فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أَعْلَمُ) ننتقل إلى قوله:

(وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)

سنعلمه أسماء الله.

---

[28] () أخرجه مسلم (2577).

هذه مسألة واضحة ونقول بالتفصيل: إن المطلوب منا طوال حياة المتربي من أن يفهم الخطاب ويرد الجواب إلى أن ينضج وإلى أن نفترق، طوال الوقت نقول له من هو؟ ومن هو ربنا؟ وبذلك تستقر الحياة، بمعرفة (من أنت؟ ومن الناس؟) في كفة، و(الله رب العالمين من هو؟) لا تفكر في رب العالمين كما تفكر في الناس؛ ولذلك من الأصول المهمة التي من المفترض أن تكون عند الأمهات اللاتي تربين: أن يكون عندهن المعتقد السليم في رب العالمين. فلا تخطئي وأنت تتكلمين عن هذه العقيدة، يسألك: (ما هو شكل ربنا؟) وهذا النوع من الأسئلة، لا بد أن تعرفي كيف توجهينها؛ لأن هذا الطفل يسأل ويريد أي إجابة تسكّنه، فهو لا يحلل الإجابة، هو يريد أن يسكن هذا الذي يتحرك في داخله، يريد كلمة يضعها في هذا المكان وكلَّما كبر كلَّما تحللت، تصوري طفل عمره خمس سنوات ويسألك: (من أين أتيت بي؟!) أمه لو قالت له حتى: (اشتريتك من المتجر!) سيصدق وليس عنده مشكلة، سيوافق لأنها قالت ذلك، وسيضع هذه الكلمة على مكان السؤال وينتهي الموضوع؛ لأنه لا يحلل كيف أتيت من المتجر؟! لكنه يأتي في اليوم الثاني ويسأل نفس السؤال فتجيبيه بنفس الإجابة أو تضيفي عليها كما تريدين، بمعنى أنه يلح عليه السؤال فيريد إجابة، ثم يضع الإجابة في

مكان السؤال وكلَّما كبر كلَّما فككها إما انتقدها وإما قبلها وإما أيّدها، فهو صغير يسألك أسئلة عن الله، وأنت كلَّما سألك عندك طريقين في الإجابة:

حين يسألك عن التفاصيل التي فيها تشبيه بالخلق تقولين له: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[29].

وكلَّما سألك تجيبين بنفس الجواب.

ولا تظني أن الصغير حين يكرر السؤال، فهذا يعني أنه ما اقتنع بالجواب، لا، بل التكرار هو حاجة من حاجاته، يريد منك أن تكرري نفس الكلام، والمثال المشهور: أنك حين تحكين له قصة، ويطلب منك في كل يوم أن تحكي له نفس القصة، ثم بعد ذلك إذا أخطأت في اسم إحدى الشخصيات، يصوبها لك. لماذا؟ لأنه حفظ القصة. إذًا لماذا يطلب سماعها مرة أخرى؟ لأن عنده حاجة ملحة إلى التكرار. فلابد أن تفهموا حاجته إلى التكرار، وحين يسألكم عن الله أسئلة فيها تشبيه قولوا له: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) يحفظ الجواب ويضعه في مكانه، وحين يكبر قليلًا ويفهم، تبيّني له معنى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، تقولين له: (أنا أستطيع أن أصف لك من له شبه في الدنيا، لكن الله لا مثيل له) ثم تقولينها بكل تعظيم، فهو سينقل الكلمة مع العظمة التي أتت من مشاعرك، فيعقدها في قلبه

---

[29]() الشورى: 11.

مع مشاعرها، فيقع في قلبه تعظيم الله ويعرف أنه(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

لكن أن نقولها ونحن نضحك، أو نقولها لفض المجلس! فهذا لا يصلح! لا بد أن يفهم أن هذا الموضوع عظيم، مناقشته عظيمه، فهو يعقد في قلبه المعلومة مع الشعور؛ ولذلك حين يحكي لك عن نكتة فيها استخفاف بالدين -الآن انتهينا من النكت بالكلام، ودخلنا في نكت المقاطع! والأفلام القصيرة التي فيها استهانة بالدين، فهذه مصيبة عظيمة وهي التي نخاف منها لأن وراءها يذهب الأمن والأمان؛ لأن الناس حين تجرؤوا ووصلوا إلى أن يسبوا الله؛ هدّت ديارهم، فحين يكون هذا الأمر سهل التداول تكون مصيبة كبيرة-

الشاهد: أنه حين يحكي لك هذه النكتة أو يريك هذا المقطع وفيه سب للدين، لا بد أن تخرجي كل ما عندك من مشاعر استهجان، تبيني له أن هذه مصيبة عظيمة: (هل تعرف ما نتيجة هذا الكلام؟ أن تذهب الديار وتذهب الأموال وتنتهك الأعراض؛ بسبب أن العباد في الأرض استهزؤوا بخالق الأرض والسماء) لا بد أن تكون في قلبه قوية، بحيث أنه لا يفكر أبدًا مرة أخرى أن يناقشك في هذه المسألة.

فلا بد أن تصل المعلومة إلى الصغير بشعورها، فلا تعطه كلامًا باردًا، لماذا يتأثر الناس بالروايات؟ لأن الراوي يعطيهم التفاصيل ويصف المشاعر. فهم يحتاجون إلى كلام معه شعور. وأنت خير من هذا الراوي لأن كل قسمات وجهك ستتحرك. هو يعرف أن هذا الكلام خرج من سويداء قلبك، يعرف أن هذا الأمر عظيم عندك، وراجعوا ذاكرتكم وانظروا كيف عظمت أمور في نفوسنا بسبب توجيه والدينا، أو بسبب توجيه معلم، وكيف سارت هذه المسألة خطيرة جدًا بسبب أن والدين أو معلم أو إخوان عظَّموا هذه المسألة عندنا.

فالمقصد أننا حين نأتي إلى هذا الموضع: (وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) سنعلمه أسماء الله، وهذه قاعدة عامة، لن أفصلها هنا: أن المطلوب من المربين أن يعلموا الأبناء عن رب العالمين.

لكن القاعدة التي سنخرج بها من هنا: يجب عليَّا تعليمه من هو الله وتعليمه من هو ومن الناس؟

(من أنت ومن الناس؟) في كفة و(من هو الله؟) في كفة. فهذا يفهم بالمقابلة، أنت لا تقدر والله يقدر، أنت لا تعلم والله يعلم، أنت ضعيف والله هو القوي، أنت فقير والله هو الغني؛

ولذلك لا بد أن نقف عند بابه، هو الذي أعطانا، هو الذي من علينا هو الذي سقانا، هو الذي كسانا وآوانا.

فهذا الاستعراض الدائم للمقارنة يجعل الإنسان في المكان الصحيح في الذل والانكسار وطلب الله والفزع إليه والأمن بالله. كل دعاء الاستخارة دائر حول: (أنا بك أطمئن)، (أنا متأكد أني لو استخرتك فلن أضيع)، (أنا على يقين أن الناس يتيهون لو ابتعدوا عن رب العالمين)، كل هذه المشاعر تنقل منك له وأنت تعلمينه دعاء الاستخارة.

ونحن لا نريد أن نقف عند دعاء الاستخارة، نحن نريد أن نستخرج من النص قواعد نتبعها معه في التربية.

معنى ذلك أن الناس يسيرون على هذا الطريق الذي قالوه بألسنتهم -في الاستخارة نقول بألسنتنا- فهذا طريق وقع في قلوبنا ولفظته ألسنتنا حين قلنا الاستخارة.

نحن معتقدون أن الله يقدر ولا نقدر.

معتقدون أن الله يعلم ولا نعلم.

معتقدون أننا نفوض الأمر إلى الله فتستكين نفوسنا.

معتقدون أن ما يختاره الله هو الخير بعينه.

نعتقد كل ذلك، ثم نعبر عنه بدعاء الاستخارة. فهذا هو المطلوب أن ما نقوله في دعاء الاستخارة هو اعتقاداتنا، فأنت اترك الدعاء واستخرج اعتقاداتك التي لا بد أن تربي

عليها نفسك وأبناءك. فإذا ناقشته في دعاء الاستخارة فبها ونعمة، أو المقصد أن نستخرج القاعدة العامة.

بذلك خرجنا بأربع قواعد:

الأولى: في الهم.

الثانية: في ركوع ركعتين.

الثالثة: في القضاء والقدر في مسألة الاستخارة.

الرابعة: أن أعلمه من هو الله ومن هو ومن الناس؟

(وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) إذًا نفس الدعاء سيجعلنا نعلمه اسم العليم واسم القدير.

يأتي الآن يسأل الله:

(اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في دِينِي

ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ -

فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ)

أتينا للكلام المهم جدًا، طبعًا من جهة الفهم واضح أن من يستخير يقول: (إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ) يعني: إن كان هذا في سابق علمك أن ما أطلبه خير؛ فاختره لي، و"اختره لي" أتت في ثلاث كلمات: (فَاقْدُرْهُ لي)، (ويَسِّرْهُ لِي)، (بَارِكْ لي). فنحن

نحتاج أن نتناقش لنعرف: ما هو الخير الحقيقي؟ لا بد أن يعرف ما هو الخير الحقيقي. ففي الدعاء قال: (خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي) يعني الشيء الأول الذي سأهتم به أن يكون فيه خير هو: سلامة ديني. وهذا هو نفسه الذي ورد في دعاء القنوت: «اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت»[30] تطلب الهداية، هذا من الأصول، لا بد أن يعرف الصغير أن أعظم مطلب عنده أن يهتدي، ضيفي عليه: «وعافِنا فيمَن عافيت» معناه أن يطلب العافية، يطلب عافية قلبه من الكفر والنفاق والشقاق والأمراض. فأنت تطلب عافية قلبك قبل أن تطلب عافية بدنك، والذي يطلب عافية قلبه أولًا، يعني يقول: (اختر لي ما يسلّم ديني) أي هناك تقول: (وعافِنا فيمَن عافيت) وهنا تقول: (اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في دِينِي) أنا أهم شيء عندي: أن يسلم ديني وأن أكون في عافية من شأن ديني. هنا تأتي القاعدة الخامسة في التربية وهي:

مسألة: الأولويات.

وهذه تكاد تكون قلب الجرح الذي نعيشه؛ لأننا بقدر أن ننصحهم أن يصلوا وأن يصوموا، وبقدر أن نرشدهم إلى الطاعات، لكنه يشعر في الأنفاس وفي التوجيهات العامة وفي التصرفات عند كثير من المربين أن الدنيا قبل الآخرة، وأفضل مثل يدل على ذلك: حين أقول له: (هيّا لأذاكر لك)

---

[30]() أخرجه أبو داود (1425).

وأول مادة تكون الرياضيات والعلوم، وماذا عن التوحيد؟ أقول له: (احفظه أنت!) فنكون بذلك طوال الوقت نقول له: (أهم شيء دينك) وحين نعلمه لا نعلمه ما ينجيه في قبره وحين يلقى ربه! كذبة هو يعرف تفاصيلها! فلا يهتم بكلام والديه عن الدين!

أهم وظيفة عند الوالدين والمربين: ترتيب أولويات المتربي. الذين يتولون وظيفة إدارات الأماكن، هم يتقربون إلى الله في أن يقدموا العلوم الشرعية على غيرها قدر ما يستطيعون، الذين يتولون مناصب، المفترض أن يُشعروا الأبناء أن الحقيقة التي فُتح من أجلها التعليم هي: أن تكون عبدًا موحدًا لله. لا أن تعرف كيف تضرب وتجمع! انتهى دورك في الضرب والجمع، أخرج جوالك يجمع ويضرب ويقسم ويؤدي كل العمليات! انتهى دورك في أن تتكلم عن المعلومات الجغرافية، الآن تكتب في ثانية أي معلومة تخرج لك، انتهى هذا الدور! أنت دورك: أن ينقى قلبك وتلقى الله بقلب سليم، لا نكذب على الله، ونربي الطفل على اتجاهين مختلفين، نربي هذا الصغير على تناقض لأن الأولويات فيها كذبة، نبقى من الأحد إلى الخميس نوقظه لصلاة الفجر، أما الجمعة والسبت إجازة حتى من صلاة الفجر! ونقول: (هو لا يريد أن يستيقظ!) كيف كان يستيقظ من الأحد إلى الخميس؟!

ما أيقظه حينها، يوقظه الجمعة والسبت وأقول له: (المدرسة لا تهمني، قم صلِّ لربنا ثم يفعل الله فيك ما يشاء) لا بد أن أكون صادقة في الأولويات. وعدم الصدق في الأولويات طعنة عظيمة في كل ما نقوله نظريًا، لا بد في المواقف أن يجد أن دينه مقدمًا، (أهم شيء دينك، أهم شيء أن تسلم عند ربنا).

ولو وسعنا المسألة سيدخل فيها تفاصيل مؤلمة جدًا، من بينها هذا التفصيل الخطير في مسألة التنافس، أتاك وهو في المتوسط أو الثانوي، يقول لك: (أقاموا مسابقة فيها من أفضل شخص في حفظ القرآن أو غيره؟) دائمًا نقول له: (أنا أريد منك أن تكون أفضل شخص فيهم!) ونحن نعتبر أن هذا نوع من أنواع التشجيع، وهو في الحقيقة نوع من أنواع التمرين على التنافس الذي قال فيه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «ولا تَنافَسُوا»[31] وهو نوع من أنواع تعظيم الدنيا في قلبه والبروز على الناس. المفترض في موقف مثل هذا أن نقول: (إذا أردت أن تغتنم الفرصة لتراجع حفظك أو لتتعلم شيئًا جديدًا؛ افعل وما كان لله بقي، وإذا أردت أن تنافس الناس وتصير أفضل منهم فلا تشترك أفضل).

لا بد أن تكون هناك أولويات واضحة وتبقى هذه الأولويات في كل مواقف القرارات. المشكلة أننا أدخلنا على

---

[31]() أخرجه البخاري (6064).

أنفسنا قناعات عجيبة، من القناعات أنني لكي أجعله طوال الوقت متحمسًا، أقول له: (لا بد أن تكون أفضل من أصحابك) وأنت قولي ما تريدين وهو في النهاية لن يكون إلا كما قدّره ربنا عليه، قدراته هي نفس قدراته لكن شوّهنا له أولوياته! وقد مر معنا سابقًا أننا ننفخ فيهم طوال المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية: (لا بد أن تكون الأول، لا بد أن تكون أفضل شخص) وحين يدخل الجامعة لا يجد من ينافسه! فيصبح هو في وادٍ والعلم في وادٍ! لـمَّا ما وجد من ينافسه ترك العلم! وهذه أزمة عظيمة، ولا تستشهدوا في مثل ذلك بقوله تعالى: (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)[32] لأن هذا ليس شاهدًا؛ لأن الله يقول: (وَفِي ذَٰلِكَ) أي: فيما عند الله، فليبذل الناس جهودهم ليصلوا لما عند الله، ليس المقصود أبدًا في مسألة التنافس الكلام عن الدنيا.

الشاهد: أن هذه الأولويات تمثّل طعنة في التربية. إذا كنت صادقة ستجدين نفسك في كل موقف تقولين نفس الأولويات، وهذا الصغير ليس بغبي، بل يفهم ما هو الشيء المهم والشيء الذي ليس مهمًا، فأنت في كل موقف يجب أن تتقي الله ويكون الدين مقدمًا على كل شيء، والذي يفعل ذلك، تذهب المواقف وتذهب الأحداث وتفاصيلها ويبقى شعور الابن أن الدين يسبق كل شيء وأن سلامة ديني مقدمة على

[32]() المطففين: 26.

سلامة كل شيء، ومثل هذا لا يأتي عليه يوم من الأيام فيبيع دينه بتجارة إلكترونية، ولا يبيع مجتمعه بأي أمر يُفتح له من باب التجارة فلا يهمه، قد تكونوا قرأتم الخبر اليوم أن مكافحة المخدرات وجدت عددًا هائلًا من الحبوب -أتت الإجازة وهذا وقت بالنسبة لهم مناسب لنشر المخدرات- الأزمة دائمًا: من الذي يتجرأ على أن يدخل هذه المخدرات البلاد؟! من يجرؤ إلا يد من الداخل مع يد من الخارج؟! كيف يد من الداخل ممكن تقبل بدخول 25 مليون حبة إلى البلاد؟! ليس مهم الشباب ولا الدين ولا بقاؤهم على عقولهم، المهم التجارة! ثم هربها في جهاز مغسلة تمر! 25 مليون حبة! من يهلك بها إلا هؤلاء الصغار؟! الشاهد: أن هذه العصابات لهم يد من الداخل، باعوا بلدهم وأعراضهم وكل القيم العليا؛ لأن هذه التجارة تربحهم الملايين، فقط من أجل المال!

وهذا كله مفزع، كيف سنحارب كل ذلك؟ بالأولويات. الله أكبر!

الشاهد: أننا نقول: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في دِينِي).

الفائدة الأولى التي سنتعلمها: أن نبدأ بمسألة الأولويات.

الفائدة الثانية: أن الذي يعتني بدينه لا يهمل أمر معاشه.

كأننا نتكلم عن نصيحة القوم لقارون حين قالوا له: (لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) هذه أولويتك، لكن هل معنى ذلك أن تنسى الدنيا؟ لا، (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)[33] ولذلك يقول: (في دِينِي ومعاشِي).

إذًا مع تقديم أولوية الآخرة إلا أن هذا لا يعني أن نترك الكلام عن الدنيا، بل المطلوب منا أن نبين له أن دين الله -سبحانه وتعالى- أمرنا أن ننتفع من الحياة في شأن الآخرة، يعني أقول له: (أهم شيء أن يسلم دينك وهذا لا يعني أن تمرض دنياك، بل اجعل دنياك وسيلة تستثمرها لآخرتك) أيًا كنت، معلمًا، طبيبًا، مربيًا تربي أبناءك، كل باب يكون فيه الإنسان، يستطيع أن يجعله وسيلة لرضا الرحمن -سبحانه وتعالى- حيثما كنت، فلا يمكن أن يظن الظان أن الأولويات في تقديم الدين على الدنيا تعني ترك الدنيا! لا، هذا مفهوم باطل، هذا لا يعني أن هناك أولويات، هذا يعني أنه لا يوجد إلا الدين! نحن نقول: الدنيا يُتعامل معها لكن بنفس القاعدة التي رتبها الناصحون لقارون قالوا له:(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) يعني اجعل مقصدك من اغتنام ما أعطاك الله: التقرب إلى الله به (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) بمعنى: ابقَ مهتمًا بشأن دنياك؛ لأن الله جعل هذه الدنيا مكان لزراعة

---

[33] () القصص: 76-77.

الآخرة. والمعنى: أن من يعيش الدنيا معيشة ترضي الله، فيتاجر بما يرضي الله ويطبب بما يرضي الله ويعلم بما يرضي الله ويتعامل في كل موطن بما يرضي الله، فهو قد وصل إلى مراد الله، أن يعيش دنياه بطلب رضا الله. لكن حين أقول له: (دينك قبل كل شيء) معناه أن اجعل الدين مقدمًا على كل أوضاع الحياة وكل اختيارات الحياة. نضرب مثالًا يبين كيف نعلمه الأولويات، ولنتعلم نحن حتى في حياتنا معه:

الآن المفترض أن نخرج في الساعة السادسة والنصف مساءً، فنقول: (لا، نرتب أوضاعنا، إما نخرج في السادسة وإما نخرج بعد المغرب).

الآن ديني قبل كل شيء، وما تركت حياتي، خرجت لقضاء حاجتي لكن وأنا أعيش وديني له الأولوية وهو المقدم في كل القياسات.

إذًا معنى ذلك أن هذه الجملة المهمة التي فيها يطلب الإنسان الخير، يقيس الخير بمقياس دقيق، الخير هو ما سيكون خيرًا في ديني، ليس الخير ما يحسبه الناس من خيرية كسب الدنيا، ليس كسب الدنيا هو الذي يعتبر خير، إنما الحفاظ والرقي بالدين هو الخير.

فأريده خيرًا في ديني وأريده خيرًا في دنياي. هل يجتمعان؟ يجتمعان بفضل الله، لكن لا بد من وجود قلب صادق يطلبه؛ فالله -عزَّ وجلَّ- يذيقه؛ ولذا من خيرات هذا الإيمان ومن خيرات الاستخارة: أن العبد يُرضّى -كما في آخر الحديث- وتظهر له من اختيارات الله -ولو بعد حين- ما تجعله يزداد إيمانًا بالله.

إذًا هو يريد أن يكون الأمر: خيرًا في دينه، خيرًا في معاشه، خيرًا في عاقبة أمره.

(وعَاقِبَةِ أمْرِي): "عاقبة الأمور" أي: نهاياتها، فيرجو أن تكون نهاية ما اختير له صلاحًا في الدنيا، صلاحًا في الآخرة.

اتفقنا أن هذه الجملة تعلمنا شيء مهم وهو: أن المطلوب منا تربية أبنائنا على الأولويات.

أيضًا سنستفيد هنا قاعدة مهمة وهي القاعدة السادسة:

سؤال الله أن يكون الأمر خير في عاقبة أمرنا.

فلم يقل: (اجعل الأمر خيرًا في أوله) ، قال: (اجعل الأمر خيرًا في عاقبة أمري) لماذا؟ لأن هناك سنة مهمة يجب أن يتعلمها الأبناء: أن الله من سنته أن تبدأ الأمور ضيقة ثم تتسع، تكون صعبة ثم تسهل، تكون بعيدة ثم تقترب. فلك أن تتصوري لو الصغير تربى على ذلك؛ سيستفيد من قيمة

الصبر استفادة عظيمة، أنت قولي له: (اصبر، في النهاية سيكون الأمر كما ينبغي) وهذه القاعدة واضحة في قوله تعالى: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى)[34] قال أهل العلم:

((وَلَلْآخِرَةُ) بمعنى: ما عند الله. (خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) التي هي الدنيا)

وقالوا: ((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) أي: آخر كل أمر خير لك من أوله).

فلو تربى فتى أو فتاة على هذه السنة، أن أهم شيء عاقبة الأمور وليس مبدؤها، ثم تزوج الفتى ووجد المرأة في أول الزواج ليست على أفضل حال. ماذا سيفعل؟ سيصبر؛ لأن أول الأمور تكون في البداية ضيقة ثم تتسع ويكون عاقبة أمرها خيرًا.

فهذه القاعدة ستحل الكثير من المشاكل، واليوم من المؤسفات أن يذهب الزوج والزوجة كل ثلاثة أشهر لمستشار، على أن عندهم مشاكل، ولا توجد قاعدة تربوا عليها، فينصحهم المستشار أن ينفصلوا! وأنا أتكلم عن واقع، وهذا كله بسبب أنهم ما تربوا على أن الضيق يأتي في بداية الأمر وفي النهاية كل أمر يصبح يسيرًا، تأتي تقول لك: (يتحكّم فيّا ولا يوافق أن أخرج، يصمم أن يوصلني، ويأتي معي إلى السوق ومرات محددة) فتقول لها الكبيرة: (نحن

---

[34] () الضحى: 4.

فُعل بنا ما فُعل بك ثم بعد عشرين سنة حين أقول له: سأذهب إلى السوق. يقول: دبري نفسك!) انتهت السلطة. فتعلمي هذا لكيلا تهدمين بيتك.

الشاهد: أن هذا التفكير يحل المشاكل، يجعلني لا أرى الأمور من بدايتها، بل أرى نهايتها، أناس كثير يفشلون في أشياء كثيرة، في تجارة، في تعليم، في قرارات، في دراسة...لأنه ينظر إلى الصعوبة البداية فيحول أوراقه إلى مكان آخر! أو ينهي تجارته! غير صحيح.

لا بد أن نتعلم مشكلتنا في عاقبة الأمر، ولاحظي في الدعاء قال: (في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي).

(وعَاقِبَةِ أمْرِي): سواء كانت عاقبة أمري في الدنيا أو عاقبة أمري حين ألقى ربي. فنحن مشكلتنا عاقبة أمرنا، أولها طبيعي أن المسائل ستكون فيها صعوبات، هي تقول لك: (أنا استخرت وحين تزوجت وجدت كذا وكذا) في بداية الأمور لا بد أن تكون هناك صعوبات، ومن قال لك إنه لن يكون إلا خيرًا، بل الخير هذا يمر بكثير من المواقف، حتى حين تحصل حالات الطلاق يكون خيرًا، كان لا بد أن تؤدبي وتربي وتخرج أمور من قلبك...هو مؤلم، لكن المقصد: أنه في عاقبة الأمر يكون خيرًا.

فأنت تقولين للمتربي: (النهاية هي المهمة، عاقبة الأمر هي المهمة، ليست البداية) فهذه قاعدة مهمة، ثم مع الأيام وهو يتعلم يفهم أن في بداية الأمر كانت المسألة ضيقة، ثم كانت عاقبتها خيرًا. ويبدأ يجلب شواهد على هذه القاعدة إلى أن يتيقن ويرى أنه لا ينبغي له أن يكون عجولًا، بل يدخل الحياة، يدخل المواقف، يدخل الدراسة، ويصبر ويوقن أن الأمر في النهاية سيصبح يسيرًا بتيسير الله.

فهذه قاعدة مهمة جدًا بسببها يحصل الكثير من الأخطاء. والناضجون منكم أصحاب الخبرة يفهمون كيف حين يأتيهم صغير مشتت ويقول: (أنا جربت، وأنا عرفت!) كم عمرك لتقول: (أنا جربت)؟! قد لا يكون عمرك نصف عمري! اصبر وستأتيك التجارب التي تبين لك أن عاقبة الأمور هي المهمة، فهم حتى متعجلون في أن يحكموا أن آراءهم هي الصائبة، وكل هذا الضياع بسبب أننا من البداية لم نبين لهم أن الأشياء تبدأ صعبة ثم تكون جيدة، اصبر، إن الله مع الصابرين. يكفيك في الصبر معية الله، يكفيك في الصبر أنك تتقرب إلى الله بالصبر، الدنيا ليست كما تتصور.

قال: (أَوْ قالَ: عَاجِلِ أمْرِي) أي: في الدنيا.

(وآجِلِهِ) أي: في الآخرة.

(فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ) يعني يطلب من الله أن يجعله من أقداره. وهنا إشكال بسيط:

أن الأقدار مكتوبة، فكيف يطلب الإنسان أن يقدره الله له؟

هذا في حد علم الإنسان، فالإنسان لا يعرف ما هو المكتوب، فيقول لرب العالمين: (اقدره لي) يعني: اجعله من قدري. وهذا يدخلنا في الكلام حول مسألة في القضاء والقدر نوجزها:

إن هناك قدر لا يتغير أبدًا، وهو الذي في اللوح المحفوظ.

وهناك قدر يقول الله -عزَّ وجلَّ- فيه: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[35]

هذا الذي يُمحى ويُثبت إنما هو ما كُتب في صحف الملائكة والله يمحو ما يشاء ويثبت.

(وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يعني الذي في أم الكتاب لا يطلع عليه أحد، هذا لا يتغير.

هذه المسألة لا تُشرح في دقيقتين، ومن يريد فهمها فليرجع لكتب العقيدة ومنها كتاب: "القضاء والقدر" للحمد، شرح المسألة بالتفصيل.

إذًا (فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي) هذا معناه أن العبد يعلم أنه قد يكون الأمر مقدورًا لكنه ليس يسيرًا، فمعناه: أن مطلبه الذي لا يغيب عنه في الحياة: أنه مهما حصلت له أسباب، يبقى

---

[35]() الرعد: 39.

مطلبه من ربه: أن ييسر الانتفاع بالأسباب. فأنت الآن عندك كل الأسباب التي تصل بها إلى مرادك، فهل وجود الأسباب يعني حصول الأشياء؟ لا! حتى أحيانًا قد تحصل الأشياء لكن بعسر شديد. فأنت لا يهمك فقط حصول الشيء، بل كذلك يهمك أن تكون يسيرة، وهذه من المطالب المهمة: أن يكون أمر الإنسان يسيرًا.

فنحن نتمنى الأشياء إن كانت خيرًا، ونتمناها يسيرة، خصوصًا أن الدنيا إذا عثرت على الإنسان، احتاج جهدًا شديدًا فيها فذهبت قواه عن دينه.

فنحن لماذا نريد أن تكون الأمور يسيرة؟ لكي تبقى قوانا لديننا. هذا إن كان ما نريده شأن الدنيا، كأن تريدي أن تشتري بيتًا أو سيارة أو تخطبي لولدك، الآن تطرقين هذا الباب وما يتيسر الأمر وتطرقين هذا الباب وغيره...ضاع وقتك وجهدك وأنت تطرقين بيوت الناس واكتأبت وما تيسرت المسألة، لكن انظري حين تأتي يسيرة؛ يوفَّر وقتك وجهدك وطاعتك ولا تدخلين في غيبة ونميمة، فحين تُيسّر الأمور توفَّر على العبد طاقته في طاعة الله، فالصغار دائمًا يكون تركيزهم فقط في حصول المقصود ولا يفكرون في أن يكون المقصود يسيرًا. وأحيانًا كثيرة يغترون فيعتقدوا أن

وجود السبب يساوي حصول المقصود! نقول: لا، قد يوجد السبب والله لا ييسره.

إذًا هذه من المسائل المهمة جدًا التي نربي عليها أبناءنا خصوصًا وهم متلهفون على الأسباب، يظنون أنه إذا وجدت الأسباب، وجدت النتائج، والحقيقة: أنه حتى إذا وجدت الأسباب فإنها لا تتيسر إلا إذا يسرها الله. فيقول لك: (نذهب إلى المشفى، يوجد أحد نعرفه ييسر لنا الأمور) نقول: (ممكن هذا الذي نعرفه أن يسبب تعقيد الأمور!) ربما كانت سائرة وتتعقد بسببه! فنحن دائمًا ننسى أنه ليس نيل الأشياء هو فقط المهم، أيضًا تيسير النيل.

ولذلك لا بد أن يفهم الصغير: أن الله بيده أن يعطينا الأمور والله بيده أن ييسر هذه الأمور.

وأحيانًا مع يسر الأمور يذهب طعمها! مثلًا يأتي أحد لا يفكر في التيسير فيقول لأمه: (وأنت ذاهبة إلى السوق اشتري لي شنطة بمواصفات كذا) ومن كثرة تعنته في المواصفات، تقول له: (قل يا رب يسر) أبدًا يقول لها: (هي موجودة في المحلات) وتتعسّر! يؤذن عليهم الأذان ويغلق المكان ثم يفتح ولا يجدون موظف المحاسبة غير موجود وغير ذلك إلى أن ترجع بدونها! فيقول لها: (لماذا يحصل لي ذلك دائمًا؟!) لأنك لا تفكر في تيسير الله، تفكر أنه يوجد

سبب؛ توجد نتيجة. وهذا من الأخطاء! فعلينا أن نخرج ذلك من مشاعرهم، ليس لمجرد وجود السبب تأتي النتيجة، بل لا بد أن ييسر الله الأمور.

الآن وجدت النتيجة واشترينا الحقيبة، أو الغذاء أو اللباس، يأتي ولا ينتفع به! يأتي ويمزقه أخوه الصغير! ما بورك له فيه! فكل هذه المفاهيم ضروري أن نتناقش فيها، لا بد من دعاء الله: (ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ).

- الله هو الذي يقدر الأشياء.
- الله هو الذي ييسر الأشياء.
- الله هو الذي يبارك فيها.

فلا تقول على نفسك: (أنا ليس لي حظ) ، أنت انظر إلى قلبك، من قلبك الله يعطيك ويمنعك والتيسير من عند الله فاطلبه من الله، والبركة من عند الله فاطلبها من الله، والبركة مفهوم عظيم تأتينا في درس منفصل، سنتكلم فيها عن حديث النبي: «البَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ.»[36] ونناقشه ونفهم كيف أنه لا بد أن يكبر الصغير على مفهوم البركة الصحيح ليس كما يريد أن يصف الناس شخص مهمل فنقول عنه: (يمشي بالبركة!) هذه الكلمة خطيرة وتهمة نتبرأ منها، الجميع يقولها دون قصد، لكن حلليها جيدًا واعلمي أن الله هو الذي تبارك وهو الذي ينزل البركات.

---

[36]() أخرجه البخاري (5639).

فحين تقولين هذه الكلمة على الإهمال تكونين وقعت في خطأ عظيم! صحيح أننا لا نقصد، لكن لا بد أن تتغير هذه الكلمة وتكون في مكانها.

سنؤجل الكلام على البركة للقاء منفصل، لكن باختصار، لا بد أن يفهم أن هناك ثلاثة أمور ضرورية في كل مطلب يطلبه:

الأمر الأول: أن الله هو الذي يقدر.

الأمر الثاني: أن الله هو الذي ييسر.

الأمر الثالث: أن الله هو الذي يبارك.

وأنت ليس مطلبك وجود الشيء فقط، فنحن حين نعلمه أن ربنا يعطيه، نقول له: (ادعُ أن الله يعطيك وييسر العطاء ويبارك فيه) ادعُ أن تحصل البركة في مرادك.

الآن اتفقنا على الأمور الأساسية في القواعد، نأتي إلى آخر الحديث:

(وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمر شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَان)

(فَاصْرِفْهُ عَنِّي) إذا كان شرًا في ديني -وأنا ديني الذي يهمني- ومعاشي وعاقبة أمري؛ يعني حتى لو كان قريبًا؛

ابعده عني. فنقول للصغير: (الله هو الذي يرد عن الناس الشر).

(واصْرِفْنِي عنْه) هذه المسألة العظيمة لا بد أن ننتبه لها، وهي متصلة بمسألة طلب المعافاة، يعني سنقول له: (قلبك بيد الله، ولا بد أن تحب ما يحبه الله، ولا بد لك أن ترضى بما اختاره الله، فلكي يصير الأمر يسيرًا على القلب؛ اطلب من يملك قلبك أن يصرفه عن هذه المحاب وهذه المرادات.)، أحيانًا يكون عذاب الناس من مراداتهم! منذ كانت صغيرة وعذابها أن عندها مراد واحد وهي غير قادرة على تحقيقه! فيبقى هذا المراد يشوش عليها كل حياتها! فتطلب من الله أن يصرف هذا المراد عن قلبها.

سأضرب مثالًا للنساء: طيلة حياتها تتمنى أن تنحف، ومنذ عرفناها وهي تحفظ ريجيم (أ) و(ب)! ومعقدة! وتشعر أنها غير مقبولة بسبب هذا الشيء وتأخذ العديد من الأسباب دون فائدة! ما الحل؟! قولي: (يا رب اصرفني عما يضرني في ديني ومعاشي) يعني أنا سأحطم لأني غير راضية بقسمة الله لي، فعلت ما أستطيع بدون فائدة! انتهى الأمر: (اصرفه عني واصرفني عنه).

فالمشكلة أنه يأتي يقول لك: (أريد خطبة هذه الفتاة) ذهبنا لنخطبها وما قبلت! وما قبل أهلها! فيقول: (إن لم أتزوجها

فلن أتزوج!) قولي له: (غدًا تسخر من نفسك لقولك ذلك، أما الآن لكيلا تعذب قل: يا رب اصرف الشر عني واصرفني عنه) ، قلبك بيد الله لا بد أن تطلب حماية نفسك.

فلا بد أن نحمله مسؤولية قلبه، قد يقول لك -بكلام صريح أو خفي-: (أنا أحب المنكر!) نقول: (ادعُ الله أن يصرف قلبك عن المنكر).

فهذه من القواعد المهمة جدًا، وهو سيفهمها حين تكررين عليه: (الله يصرف قلبك عن الشر وعن محبة أهل الشر!) كلما كررت، كلما صار هذا المصطلح واضحًا في ذهنه، يعرفه، فإذا عرف المصطلح بصورة جيدة؛ يكبر ويكبر إلى أن يتصوره، ونحن نتناقش في المصطلح، يقول أحد: (أنا غير قادر على أن أصل رحمي لأن قلبي مغلق من جهتهم)، نقول: (الله هو من يصرف القلوب، اطلب من الله أن يصرف قلبك على طاعته، لا تستسلم، واطلب من الله أن يصرف قلبك عن معصيته).

ثم يقول المؤمن: (واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ) يعني أنا مؤمن، مسلّم لك، اقدر لي الخير أينما كان وصرف قلبي له، أي: اجعل قلبي ينصرف للخير، لا أن يستخير الله وهو يريد جهة معينة! لا! بل هو يستسلم، يقول: (يا رب صرف قلبي على ما يرضيك، وقدر لي الخير وصرف قلبي إليه.

إلى أن تأتي هذه الجملة الأخيرة التي تكون خاتمة لهذا المفهوم وبداية للمفاهيم في مستقبل اللقاءات وهي: (ثُمَّ أَرْضِنِي) وهذه الحقيقة التي إذا استقرت؛ طابت كل الحياة، كل الأزمة التي نعيشها شببها: اننا غير راضين بما قسم الله. هذه هي الأزمة! الغني والفقير غير راضٍ! وإذا خاطبت أحد اليوم بالثقافة المستوردة والعقول المهاجرة وناقشته في الرضا، قال: (هذا مخدر لنسكت عن الأوضاع!).

فمفهوم الرضا مفهوم يُشترى، يعني من يرضَ بقسمة الله؛ تُطَب له الحياة.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله